الدكتور يحيى شامي

أروع ما قيل في الزهد

دار الفكر العربي

أروع ما قيل في الزهد

الدكتور يحيى شامي

دار الفكر العربي
بيروت

دار الفكر العربي
للطباعة والنشر
كورنيش المزرعة - مقابل بنك بيروت والرياض
بناية ميدواى سنتر - طابق ٥ - هاتف ٨١٧٢٨٨
ص.ب : ١٤/٥٠٧٠ - بيروت، لبنان

الطبعة الاولى ١٩٩٢

مقدمة

الزهد، في اللغة، خلاف الرغبة في الشيء، أو الحرص عليه. وفي الاصطلاح هو الكفّ عن المحارم، والتوبة إلى الله؛ وهو القناعة، والاكتفاء بالحاجة، والرضى بالقليل، وصرف النظر عن بهرج الحياة وزينتها؛ وهو نهي النفس عن الهوى، وتخلية القلب، وصفاؤه، ورقته وشفافيته.

والزهد أحد أغراض الشعر العربي الغنائي، خطا خطواته الأولى بصورة غير مستقلة، فظهر أول ما ظهر، في تضاعيف القصيدة الحكمية، أو غير الحكمية، وما لبث أن استقل بنفسه، فكان ثمة قصائد ومقطوعات شعرية مستقلة، وأضحى له روّاده وعشاقه وممثلوه الحقيقيون.

والزهد بخلاف التصوف الذي هو الانقطاع التام عن الدنيا، والانصراف إلى العبادة، والاستغراق في ذات الله، والذوبان في عالم الروح الأرحب؛ وهو يشكل بحد ذاته مذهباً فكرياً قائماً بنفسه، ويحتاج إلى بحث مستقل ليس في هذا الكتاب

مجال الحديث عنه، أو انتخاب نماذج شعرية منه.

ولا ينكر دور الإسلام في تعزيز ظاهرة الزهد، ذلك أن تعاليم الدين الجديد تحث، بوجه عام، على الورع، والتزود بالتقوى، والعمل للآخرة بالتهجد والعبارة، والانقطاع عن الرغبة في الحياة الدنيا.

وثمة عوامل كان لها تأثير في ازدهار الشعر الزهدي، ولا سيما في العصر العباسي، وفي القرنين الثاني والثالث للهجرة خاصةً، منها العامل السياسي، ويتمثل بانصراف عدد من الشعراء إلى قول شعر الزهد بعيداً عن الخوض في المسائل السياسية والدينية والمذهبية التي كانت قائمة يوم ذاك، والتي كانت تشكل لبّ الصراع بين العرب والموالي، والأموية والعباسية، والقيسية واليمنية، وبين القدرية والجبرية، والمرجئة والمعتزلة والأشعرية، والشيعية والسنيّة... إلخ.

ومن العوامل التي ساعدت على ظهور شعر الزهد، العامل الاجتماعي الأخلاقي، ويتمثل بظهور فئة من الشعراء الذين ساءهم شيوع اللهو والمجون، وتفشي الخمرة والغناء، وكثرة عدد الجواري والإماء والغلمان، فلم يستطع هؤلاء الشعراء أن يقفوا في وجه هذا التيار الجائش، فعكفوا على ذواتهم، وراحوا يعبرون عن نقمتهم وسخطهم، بالإخلاص إلى أنفسهم نجيّاً، وبالتعبير عن صفاء النفس بأروع آيات الشعر الزهدي.

وثمة عامل هو العامل الثقافي الذي على أساسه تبلورت مفاهيم الزهد، وأرسيت قواعده، ويتمثل بتأثير الأفكار الصوفية الدخيلة من فارسية وهندية ويونانية ومسيحية، فظهر أثر هذا كله في فكر عدد من كبار الشعراء الزهاد.

وأياً يكن العامل المؤثر في ظهور شعر الزهد، هذا النبع الثري الذي فاضت به قرائح الشعراء، وإليه اطمأنت نفوسهم التي تمردت على الطمع والشره والترف، مستنيرة بهدي العقل والدين، فإن مما لا شك فيه أن بواكير هذا الشعر ظهرت في العصر الجاهلي، وإن لنا في شعر بشر بن أبي خازم، ولبيد بن ربيعة العامري، وعدي بن زيد العبادي، في العصر المذكور، وفي حكمة علي بن أبي طالب وفي الشعر المنسوب إليه، في العصر الإسلامي، وفي شعر منصور التميمي، ومحمد بن يسير، وعبد الله بن المبارك، ومحمود الوراق، وصالح بن عبد القدوس، وأبي نواس، وأبي العتاهية، في العصر العباسي، ما يعزز ما ذهبنا إليه من قبل، فكانت أشعار هؤلاء جميعاً، وأشعار غيرهم من الشعراء دليلاً صادقاً على تعزيز ظاهره الزهد، وبروز هذا الغرض الشعري الذي أخذ مكانه عالياً في أغراض الشعر الغنائي العربي.

واستتباعاً للفائدة، وتمشياً مع أصول البحث المنهجي، وانسجاماً مع تدرج الشعر في عصور الأدب العربي، ولأن جلّ

ما قيل في الزهد، كـان ثمرة مواهب شعراء العصر العباسي، فإننا قسمنا هذا الكتاب إلى ثلاثة أقسام رئيسية هي التالية:

١ ـ في ما قبل العصر العباسي.

٢ ـ في العصر العباسي.

٣ ـ في ما بعد العصر العباسي.

والمهم في الأمر، هو أننا حرصنا، في هذا الكتاب، على أن نشرك القاريء في أمر اختيارنـا أفضل مـا قيل في شعـر الزهد، ومن هنا كان اسم الكتاب «أروع ما قيل في الزهد»، فإن سرّ قارئنا ما اخترناه له فنعمّـا ذلك، وإن سـاءه أو أضرّ بذوقه، فمعذرة من الذنب، واعتذاراً عن سقم الذوق وسـوء الاختيار. وإلى اللقاء في غرض آخر من أغراض شعرنا العربي الغنائي.

د. يحيى شامي

الباب الاول

في ما قبل العصر العباسي

عدي بن زيد

(وكذاك الدهر حالاً بعد حال)

من رائع الشعر الحكمي والزهدي معاً، وهو على قدر كبير من الجودة، والمتانة، والرقة، والسلاسة معاً، ما قاله الشاعر الجاهلي عدي بن زيد العبادي، وكان النعمان بن المنذر بن ماء السماء، ملك الحيرة قد نزل، ومعه عدي، في ظل شجرة مونقة ليلهو هناك، فقال له عدي: أيها الملك، أبيت اللعن، أتدري ما تقول هذه الشجرة؟ قال: وما الذي تقول؟ قال: تقول:

مَنْ رآنا فَلْيُحَدِّثْ نَفْسَهُ
أَنَّهُ مُوفٍ على قرنِ زوالِ
وصُروفُ الدّهرِ لا يبقى لها
ولما تَأتي بهِ صُمُّ الجبال

رُبَّ ركْبٍ قد أناخوا حَوْلَنا
يمزجونَ الخمرَ بالماءِ الزّلال
والأباريقُ عليها فُدُمٌ
وجيادُ الخيلِ تَرْدي في الجلال
عمروا الدَّهْرَ بعيشٍ حَسَنٍ
قطعوا دهرَهُمُ غيرَ عجال
ثم أضحوا عَصَفَ الدَهرُ بِهِمْ
وكذاكَ الدهرُ حالاً بعدَ حالِ(١)

* * *

(أينَ أهل الديار)

ومن أحسن ما قاله عدي، وكان سفيان بن عيينة يستحسنه، قوله:

أينَ أهلُ الديارِ مِنْ قومِ نوحٍ
ثم عادٌ مِن بعدِها وثمودُ
بينما همْ على الأسِرَةِ والأنماطِ
أفضَتْ إلى التُرابِ الخدودُ

(١) الكامل في اللغة والأدب ٢٩٤/١. مكتبة المعارف. بيروت. وموفٍ: مشرف. وصروف الدهر: حوادثه وشدائده. وصم الجبال القوية الصلبة. والزلال: الصافي الرائق العذب. والفدم: أغطية أباريق الخمر. وتردي: تسرع.

وصـحـيـح أمس يـعـودُ مـريـضـاً
وهـو أدنى لـلمـوتِ فـمـن يـعـودُ
ثـم لـم يـنـقضِ الـحـديـثُ ولـكـنْ
بـعـد ذا كـلِّه وذاكَ الـوعـيـدُ(١)

* * *

(أين كسرى)

، رائع شعر عدي، قوله في الزهد، وفي وصف الدنيا:

أيْـنَ كِـسْـرى كـسـرى الـمـلوكِ
أنـوشـروانَ أمْ أيـنَ قـبـلَه سـابـورُ
وبنـو الأصفرِ الكـرامِ ملوك الـرّومِ
لـم يـبـقَ مـنـهـمُ مـذكـور
وأخـو الـحضْـنِ إذْ بـنـاه وإذ دجـلة
تُـجـبـى إلـيـه والـخـابـورُ
شـادَهُ مـرمـراً وجـلّلَه كِـلْـسـاً
فـلـلطّيْـرِ فـي ذراهُ وكـور
لـم يـهبْـه ريبُ الـمـنـونِ فـبـادَ
الـمـلكُ عـنـه فـبـابُـه مـهـجـور

---

(١) د الفريد، لابن عبد ربه ٣٢٣/١. لجنة التأليف والترجمة والنشر اهرة ١٩٦٥ م.

ثم صاروا كأنهم وَرَقٌ جَفَّ
فألوَتْ بهِ الصَّبَا والدّبورُ(1)

* * *

جبلة بن حريث

(والدهر في كل حاليّه دهارير)

ومن أروع شعر الزهد، وأرقه، وأكثره إثارة، قول جبلة بن حريث العذري مناجياً نفسه، مخاطباً قلبه:

يا قلبُ إنَّكَ في الأحياءِ مغرورُ
فَاذْكُرْ وهلْ ينفعنْكَ اليومَ تذكيرُ
حتّى متى أنتَ فيها مُدْنَفٌ وَلِهٌ
لا يستفِزَّنْكَ منها البدرُ والحورُ
قد بُحْتَ بِالجهلِ لا تُخفيهِ عنْ أحدٍ
حتى جرتْ بكَ أطلاقٌ محاضير
تريدُ أمراً فما تدرِي أعاجلُهُ
خيرٌ لِنَفْسِكَ أمْ ما فيهِ تأخير
فَاسْتغفرِ اللَّهَ خيراً وَارْضَيَنَّ بهِ
فبينما العسرُ إذْ دارتْ مياسير

(1) نفسه 1/125.

وبينما المرءُ في الأحياءِ مغتبطاً
إذْ صارَ في الرَّمْسِ تعفوه الأعاصير
حتى كأنْ لم يكنْ إلّا توهُّمُهُ
والدّهرُ في كلِّ حاليْهِ دهارير
يبكي الغريبُ عليه ليسَ يعرِفُه
وذو قرابتِه في الحيِّ مسرور
فذاكَ آخرُ عهدٍ من أخيك إذا
ما ضُمِّنَتْ شِلْوَهُ اللُّحْدُ المحافير(١)

* * *

بشر بن أبي خازم

(فإنّ العزّ في الياس)

ومن زهديات بشر بن أبي خازم، قوله:

إضْرَعْ إلى اللّهِ لا تضرعْ إلى النّاسِ
وَاقْنَعْ بيأسٍ فإنَّ العِزَّ في الياسِ
وَاسْتغْنِ عن كلِّ ذي قُرْبى وذي رحِمٍ
إنَّ الغنيَّ من اسْتَغنى عن الناسِ(٢)

* * *

(١) العقد الفريد ١/٣٢٦.
(٢) نفسه ١/٣٢٨.

(وجرى بالخير سعد)

وقريب من المعنى الأول قوله:

لـيسَ يُـجـدي الـحـرصُ والـسّـ
ـعـيُ إذا لـم يـكُ جـدُّ
مـا لِـمـا قـدْ قـدَّرَ الـلَّهُ
مِـنَ الأمـرِ مَـرَدُّ
قـد جـرى بـالـشّـرِّ نـحسٌ
وجـرى بـالـخـيـرِ سـعـد
وجـرى الـنـاسُ عـلى جـر
يـهـمُ قـبـلُ وبـعـدُ
أمِـنـوا الـدّهـرَ ومـا لـلدهـرِ
والأيـامِ عـهـدُ
غَـالَـهُـمْ فَـاصْـطلمَ الـجـمـعَ
وأفـنـي مـا أعـدُّوا
إنّهـا الـدُّنيـا فـلا تحـفلْ بـ
ـهـا: جَـزْرٌ ومـدّ[1]

* * *

(١) نفسه ١/ ٣٢٩. وغالهم: أهلكهم. واصطلم: قطع وأهلك.

(بلينا وما تبلى النجوم الطوالع)

ومن جيد ما قاله أبو عقيل لبيد بن ربيعة العامري، الشاعر الجاهلي المخضرم، أبيات زهدية حكمية رائعة ضمنها مرثاته لأخيه، ومنها قوله:

بَلينا وما تَبْلى النُّجومُ الطَّوالعُ
وتبقى الجبالُ بعدَنا والمصانعُ
وما المرءُ إلاّ كالهلالِ وضوئِه
يحورُ رماداً بعدَ إذْ هو ساطع
أليسَ ورائي إنْ تراخَتْ منيَّتي
لزومُ العصا تُحنى عليها الأصابع
أُخَبِّرُ أخبارَ القرونِ التي مضتْ
أدبُّ كأنّي كلّما قمْتُ راكع
فلا تبعدَنْ إنَّ المنيَّةَ موعدٌ
علينا فدانٍ لِلطُّلوعِ وطالع
لَعَمْرُكَ ما تدري الضّواربُ بالحصى
ولا زاجراتُ الطّيرِ ما اللّهُ صانع[١]

* * *

(١) ديوان لبيد ٨٩ ـ ٩٠. تحقيق إحسان عباس الكويت ١٩٦٢ م. والمصانع: =

(وكل نعيم لا محالة زائل)

ومن أبيات لبيد الحكيمة، المشهورة، وفيها نلمس روح الزهد في الحياة، وهو من أصدق القول:

أَلا كُـلُّ شيءٍ مـا خـلا اللَّهَ بـاطـلُ
وكـلُّ نـعيـمٍ لا مـحـالـةَ زائـلُ

* * *

(وبإذن الله ريثي وعجل)

ومن جيد حكمه وزهده، قوله:

مَـن هـداهُ سُبُـلَ الـخيـرِ اهْـتـدى
نـاعـمَ الـبـالِ وَمَـنْ شـاءَ أضـلّ
أحـمـدُ الـلَّهَ فـلا نِـدَّ لـه
بيـديْـه الـخيـرُ مـا شـاءَ فـعـل
إنَّ تَـقْـوى ربِّـنـا خـيـرُ نـفَـلْ
وبِـإذنِ الـلَّهِ رَيْـثـي وَعَـجَـلْ(١)

* * *

= المباني والدور. ويحور: يرجع. وضوارب الحصى: اللاتي يضربن الطير. وزاجراته: الصائحات بالطير لمعرفة الخير من الشر تبعاً لطيرانه يمنة أو يسرة.

(١) رسالة الغفران، للمعري، ص ١٢٥. دار صعب. بيروت ١٩٦٨ م. والريث: المهل. والنفل. العطاء والخير والند: النظير.

(أين الأسرّة والتيجان والحلل)

الأبيات التالية، وهي تدخل في صميم شعر الزهد، وتمثل الذروة منه حكمة ومثلاً وخاطرة وعبرة، لا يعرف قائلها بالتحديد، وإن نسبت إلى الإمام علي بن أبي طالب، فهي موجودة في طبعات ديوانه. وإذا فاتت الإمام علياً، فإنها لم تفت أحد أبنائه وأحفاده من الأئمة الذين نسبت إلى بعضهم كالإمام الكاظم، والإمام الرضا. وفي مطلق الأحوال فإن القصيدة إن فاتت هؤلاء فقد تكون نظمت في عهد العباسيين، بعد أن أفلت زمام الخلافة من أيديهم وصارت لعبة في أيدي القواد والولاة من الأعاجم. وأياً يكن الدافع على وضعها، وأياً كان صاحبها فإننا نثبت أكبر قدر من أبياتها، نظراً إلى أهميتها، وهي التالية(١):

باتُوا على قُلَلِ الأَجبالِ تحرسُهم
غُلْبُ الرِّجالِ فلمْ تنفعْهُمْ القُلَلُ(٢)
واسْتُنْزِلوا بعدَ عِزٍّ عنْ معاقِلِهمْ
فأُودِعوا حُفَراً يا بئسَ ما نَزَلوا

---

(١) ديوان الإمام علي بن أبي طالب ص ٩٧. المطبعة العلمية. القاهرة ١٣١٩ هـ.

(٢) قلل الجبال: رؤوسها. وغلب الرجال: أقوياؤهم وأشداؤهم.

نـــاداهمُ صـارخٌ مِنْ بعــدِمــا دُفِنــوا
أيـنَ الأَسِــرَّةُ والـتّـيـجــانُ والْـحُـلَلُ
أينَ الــوجــوهُ التي كــانتْ مُنَعَّمــةً
مِن دونِهـا تُضْـرَبُ الأستـارُ والكِلَلُ[1]
فَـأَفْصَـحَ القبــرُ عنهمْ حينَ سـاءلهم:
تلكَ الــوجــوهُ عليهــا الــدّودُ يَقْتَتِــل
قـدْ طــالما أكلوا دهـراً ومـا شـرِبـوا
فأصبحوا بعـدَ طولِ الأكـلِ قد أُكِلوا
وطــالمـا كثَّـروا الأمــوالَ وادَّخــروا
فخلّفــوهـــا عــلى الأعــداءِ وَارْتحـلوا
وطــالمـــا شيَّــدوا دُوراً لِـتَحْـصِنَـهم
ففــارقــوا الــدّورَ والأهليـنَ وانْتَـقلوا
أضحتْ مســاكِنُـهم وَحْشــاً مُعَــطَّلةً
وساكنوهـا إلى الأجداثِ قـد رَحلوا[2]
ســلِ الـخليـفــةَ إذ وافـتْ منـيَّـتُــه
أينَ الجنـودُ وأينَ الخيـلُ والْخَــوَل[3]

---

(١) الكلل، جمع كلة، وهي الستر الدقيق.
(٢) الأجداث: القبور.
(٣) الخول: الخدم.

أين الكنــوزُ التي كــانتْ مفــاتحُهــا
تنــوءُ بِالْعصبــةِ المقــوينَ لــوْ حَملوا[1]
أينَ العبيــدُ الأُولى أرصــدْتَهم عــدداً
أينَ العــديــدُ وأينَ البيْضُ والأَسَــلَ[2]
أينَ الفــوارسُ والغلمــانُ مــا صنعــوا
أين الصّـــوارمُ والـخِـطِّيَّــةُ الــذُّبُــل
أين الكـفــاةُ ألمْ يـكفــوا خـليفـتَهُـمْ
لـمّــا رَأوْه صــريعــاً وهْــو يـبتـهــل
أين الكمــاةُ أمــا حــامــوا أمــا غضِبــوا
أين الحماةُ الّتي تُحمى بها الـدُّوَل[3]
أين الــرّمــاةُ ألم تمنــعْ بِــأَسْـهُـمِـهِمْ
لمّــا أَتَتْــكَ سِهــامُ المــوتِ تنتضــل
هيهــاتَ مــا منعــوا ضيْمــاً ولا دفعــوا
عنــكَ المنيّــةَ إذْ وافى بهــا الأجــل
مــا ســاعــدوكَ ولا واســاكَ أقــربُهم
بــلْ أسلمــوكَ لهــا يــا بِئْسَ مــا فعلوا

---

(١) تنوء: تعجز.

(٢) البيض: السيوف. والأسل: الرماح.

(٣) الكماة: الأبطال. والضيم: الذل.

مـا بـالُ قبـرِكَ لا يُنْـشى بـه أحـدٌ
ولا يَـطُورُ بـه مِنْ بَيْـنِهـم رجـل[1]
ما بـالُ قصـرِكَ وحشـاً لا أنيسَ بـه
يغشـاكَ مِن كنفيْـهِ الـرَّوعُ والـوهـل
مـا بـالُ ذكـرِكَ منسيّـاً ومُـطَّرَحـاً
وكلُّهم بِـاقْتسـامِ المـالِ قـد شغلوا
لا تُـنْكِـرنَّ فـمـا دامتْ عـلى مـلِكٍ
إلّا أنـاخَ عليـه المـوتُ والـوجـل
وكيفَ يُـرجى دوامُ العيشِ متّـصـلاً
وروحُـه بِجبـالِ الـمـوتِ متّـصـل
وجسمُـه لِلبُـانـاتِ الـرّدى غـرضٌ
ومُـلْكُـهُ زائـلٌ عـنـه ومنـتـقـل[2]

* * *

(لك الحمد يا ذا الجود)

ومن مأثور كلام علي بن أبي طالب في الزهد، وفي التقرب إلى الله تعالى، والشكر له، قوله:

لكَ الحمدُ يا ذا الجودِ والمجدِ والعُلى
تبـاركْتَ تُعـطي مَن تشـاءُ وتمـنـعُ

(١) ينشى: يعلم. ويطور: يطوف.

(٢) اللبانات: الأغراض. والردى: الهلاك.

إلـهي وخـلاّقي وحِـرْزي ومـوئلي
إليكَ لـدى الإعسـارِ واليُسـرِ أفـزع
إلـهي لئِنْ خَيّبتنـي وطـردْتَنـي
فمن ذا الـذي أرجـو ومن ذا أشفِّـع
إلـهي تـرى حـالي وذلّي وفـاقتي
وأنتَ منـاجـاتي الخـفيَّـة تـسمـع
إلهي فـلا تقـطعْ رجـائي ولا تُـزِغْ
فؤادي فلي في بـابِ جـودِكَ مـطمـع
إلـهي لئـنْ عـذّبـتني ألـفَ حـجّـةٍ
فـحبـلُ رجـائـي منـكَ لا يـتقـطّع
إلهي إذا لم تعفُ عن غيـر محسنٍ
فـمنْ لـمُسـيء بِـالـهـوى يـتـمتّـع
إلهي لئـنْ فـرّطْتُ فـي طلبِ التُّقـى
فهـا أنـا إثـرَ العفـوِ أقفـو وأتبـع
إلهي أقلْني عثـرتي وَامْـحُ حَـوْبتي
فـإنـي مقـرٌّ خـائـفٌ مـتـضـرّع(١)

* * *

---

(١) تـاريخ الآداب العـربية ١٦١/١. رشيـد يوسف عـطا الله. ط ١. دار عز الدين. بيروت ١٩٨٥ م. والحوبة: الذنب.

(فما بال متروك به الحرّ يبخل)

وثمة بيتان منسوبان إلى الحسين بن علي بن أبي طالب، يتضمنان معنى سامياً، هو الحث على التخلي عن جمع المال، والحرص على طلبه وجمعه، وهما في غاية الروعة والجودة، والبيتان هما التاليان:

إذا كانتِ الأَرزاقُ قِسْماً مُقَدَّراً
فقِلَّةُ حِرْصِ المرءِ في الكسبِ أجملُ
ولو كانتِ الأمْوالُ لِلتَّرْكِ جَمْعُها
فما بالُ متروكٍ بهِ الحرُّ يَبْخَلُ

* * *

(فادع الإله وأحسن الأعمالا)

ولأبي الأسود الدؤلي، ظالم بن عمرو، واضع علم النحو المشهور، أبيات في العزوف عن الدنيا، وفي الزهد والقناعة، وهي تتميز بالسهولة والسلاسة:

وإذا طلبْتَ مِنَ الْحوائِجِ حاجةً
فَادْعُ الإلٰـهَ وأَحْسِنِ الأعمالا

فَـلَيُـعْـطِيَـنَّـكَ مـا أرادَ بِـقـدرةٍ
فـهْـو الـلطيـفُ لـمـا أرادَ فـعـالا
وَدَعِ الـعـبـادَ ولا تـكـنْ بِـطلابِـهـم
لَـهِجـاً تَـضَعْـضَـعُ لِـلعبـادِ سُـؤالا
إنَّ الـعـبـادَ وشـأنَـهـم وأمـورَهـم
بـيـدِ الإلـهِ يـقـلِّبُ الأحـوالا(١)

* * *

(فسيكفيك مسيئاً عمله)

ومن جيد قول أبي الأسود وبليغه:

أيّـهـا الآمـلُ مـا لـيسَ لـهُ
رُبَّـمـا غَـرَّ سـفـيـهـاً أَمَـلُهْ
رُبَّ مَـن مـاتَ يُـمنـيّ نـفـسَـهُ
حـالَ مِـن دونِ مـنـاهُ أَجَـلُهْ
والفتى المحتـالُ فـي مـا نـابَـه
ربّـمـا ضـاقتْ عـليـه حِـيَـلُهْ
قـلْ لمنْ قـد مـاتَ في أشعـارِه
يـهـلكُ الـمـرءُ ويـبـقى مَـثَـلُهْ

---

(١) الأغـاني، لأبي الفـرج الأصفهـاني ١/١٠٨. ط بـولاق وط دار الكتب وتضعضع: تذل.

نـافسِ المحسنَ في إحسانِه
فَسَيَكْفيكَ مسيئاً عملُهْ[1]

* * *

شبيب بن البرصاء

(وإني لترّاك الضغينة)

ومن جيد ما قاله شبيب بن البرصاء الشاعر الإسلامي الأموي:

وإني لَتَرّاكُ الضَّغينةِ قدْ بدا
ثراها مِنَ الْمولى فلا أَسْتَثيرُها
مخافةَ أنْ تجني عليّ وإنّما
يَهيجُ كبيراتِ الأمورِ صغيرُها
فلا خيرَ في العيدانِ إلّا صِلابُها
ولا ناهضاتِ الطّيرِ إلّا صقورُها[2]

* * *

(١) العقد الفريد ١/ ٣٢٥.
(٢) ديوان الحماسة، لأبي تمام ٢/ ٧٠٦. ط ١. دار القلم. بيروت والضعينة: الذل. وناهضات الطير: الباسطة أجنحتها.

(يا خاطب الدنيا)

ومن المجانين الذين كانوا عقلاء، وما هم بمجانين، سعدون المجنون، العالم والزاهد البصري؛ وله شعر في الحكمة والزهد لا يخلو من طرافة وجدة، وإن منْه ذاك الذي يذم به الدنيا، داعياً إلى التزود بالتقوى والعمل الصالح. يقول سعدون، وهو من أسهل القول:

يا خاطبَ الدّنيا إلى نَفْسي
إنَّ لها في كلِّ يومٍ خليلْ
ما أقبحَ الدّنيا بِخُطّابِها
تقتلُهم عمداً قتيلاً قتيلْ
تستنكحُ البعلَ وقد وُطّئَتْ
في موضعٍ آخرَ منه البديل
إنّي لَمُغْتَرٌّ وإنَّ البِلى
يعملُ في نفسي قليلاً قليل
تزوّدوا لِلموتِ زاداً فقدْ
نادى مُناديهِ الرّحيلَ الرحيلْ[1]

(١) شعر الزهد في القرنين الثاني والثالث، لعلي عطوي. ص ٢٢٨. المكتب الإسلامي. بيروت ١٩٨١ م.

(كذاك الدهر يبكيكا)

ومن جيد شعره الزهدي، ذاك الذي يخاطب به الرشيد، واعظاً ومحذّراً، وكان الرشيد قد خرج من مكة في موكب مهيب:

هَبِ الدُّنيا تُواتيكا
أليسَ الموتُ يأتيكا
فما تصنعُ بالدّنيا
وظِلُّ الميلِ يَكْفيكا
ألا يا طالبَ الدّنيا
دعِ الدنيا لِشانيكا
كما أضحكَكَ الدّهرُ
كذاكَ الدهرُ يُبْكيكا[1]

* * *

حميد بن ثور

(فلا تأمنن بيات المنون)

ومن الشعر الزهدي الذي قاله حميد بن ثور الهلالي، الشاعر الإسلامي، والصحابي، مرشداً الإنسان إلى المصير المحتوم، قوله:

---

(١) نفسه ص ١٨٣.

فــلا تَــأْمــنَــنَّ بــيــاتَ الــمــنــونِ
وكــنْ حــذِراً حــدَّ أظــفــارِهــا
فــإنَّ الــمــنــيَّــةَ مــا أَسْــأَرَتْ
مِــنَ الْقــومِ عــادتْ لإســآرِهــا[1]

* * *

(ولبس عباءة وتقر عيني)

ومن ألطف ما قيل في الزهد في الحياة، والعزوف عن مباهجها، شعر قالته ميسون بنت بحدل الكلبية، وكان معاوية بن أبي سفيان تزوجها وحملها إلى دمشق، فحنّت إلى البادية، التي نشأت فيها فقالت هذه الأبيات السهلة ذات المسحة الزهدية. وهي التالية:

لَــبَــيْــتٌ تَــخْــفــقُ الأرْواحُ فــيــهِ
أَحَــبُّ إلــيَّ مِــن قــصــرٍ مُــنــيــفِ
ولــبْسُ عــبــاءةٍ وتــقــرَّ عــيــنــي
أحــبُّ إلــيَّ مِــن لــبسِ الــشّــفــوفِ

(١) حميد بن ثور الهلالي: حياته وشعره، لرضوان النجار. ص ١٧٥. رسالة ماجستير ١٩٧٨ م.

وأصواتُ الرِّياحِ بكلِّ فجٍّ
أحبّ إليَّ مِن نقرِ الدُّفوف
وأكلُ كُسَيْرةٍ في كسرِ بيتي
أحبُّ إليّ مِن أكلِ الرغيف
وخرقٌ مِن بني عمّي نحيفٌ
أحبُّ إليَّ مِن عِلْجٍ عليفِ(١)

* * *

(تفانوا جميعاً)

ومن ألطف المعاني الزهدية، في أرق الشعر وأجزله معاً، ما قاله مالك بن دينار، مولى بن أسامة بن لؤي، وكان زاهداً ورعاً، ومن رجال الحديث. يقول مالك:

أتيْتُ القبورَ فناديتُهنَّ
أيْنَ المعظَّمُ والمحتقَرْ
وأينَ المذلُّ لِسلطانِه
وأينَ المزكّى إذا ما افْتَخَرْ

(١) تاريخ الآداب العربية ص ٣٤. والأرواح، في البيت الأول، الرياح، ومنيف: عال. والشفوف: ما رقّ من الثياب. والعلج: الضخم. والعليف: السمين. وهنا تشير إلى معاوية.

تفانَوْا جميعاً فما مُخبرٌ
وماتوا جميعاً وماتَ الخبَرْ
تروحُ وتغدو بناتُ الثّرى
وتُمحى محاسنُ تلكَ الصُّوَر
فيا سائِلي عنْ أُناسٍ مضوا
أمالَكَ في ما تَرى مُعْتَبَرْ(١)

* * *

الطرماح (ت ١٢٥ هـ/ ٧٤٣ م)

(عجباً ما عجبت)

ومن الشعراء الوعاظ الحاثين على الزهد في متاع الدنيا، والداعين إلى التمسك بحبل الله، وإلى العمل بالتقوى، الطرماح بن حكيم، أحد شعراء الخوارج. يقول الطرماح:

كلُّ حيٍّ مستكملٌ عدّةَ
العمرِ ومودٍ إذا انْقضى عددُهْ
عجباً ما عجبْتُ مِن جامعِ المالِ
يُباهي بهِ ويرتفدُه
ويضيعُ الذي يصيّرُه اللّهُ
إليه فليسَ يعتقده

(١) عيون الأخبار، لابن قتيبة ٢/٣٣. المؤسسة المصرية للطباعة والنشر.

يـومَ لا يـنـفـعُ الـمـخـولَ
ذا الـثـروةِ خِـلاَّنُـه ولا ولـده
ثـم يُـؤتـى بـهِ وخـصـمـاه
وسطَ السّجنِ والإنسُ رجلُه ويـده
خـاشـع الـطّرفِ لـيسَ يـنـفـعُـه
ثَـمَّ أمـانـيـهِ ولا لَـدَدُهْ(١)

* * *

الفرزدق (ت ١١٠ هـ/ ٧٢٩ م)

(أخاف وراء القبر)

والفرزدق على الرغم من فاحش هجائه، وخبث لسانه، فإنه نسك في أواخر حياته، ومما قاله في النسك والزهد، مصوراً هول يوم الحساب والقيامة:

أخـافُ وراءَ القبـرِ إنْ لـم يُعـافِـني
أشـدَّ منَ القبـرِ التهـابـاً وأَضْيَـقـا
إذا قـادني يـومَ القـيـامـةِ قـائـدٌ
عنيفٌ وسـوّاقٌ يسـوقُ الـمـرزدقـا
لقـد خـابَ مِن أولاد آدمَ من مشى
إلى النّـارِ مغلولَ القِـلادةِ مـوثقـا

(١) شعر الزهد، ص ١١٨

إذا شـــربـــوا فيهـــا الحمـيمَ رأيْـتَهـم
يـذوبـونَ مِن حـرِّ الحميمِ تَمَـزُّقـا[1]

* * *

عبد الله بن معاوية (ت ١٣١ هـ/ ٧٤٩ م)

(ما نالني من غنى)

من الشعراء الذين ثابوا إلى رشـدهم من بعد غيّ ولهـو، الشـاعر الأمـوي عبد الله بن معـاويـة، من كـرام بني هـاشم وأجوادهم. ولقد صوّر في شعره شيئاً من الندامة على ما فات من عمره في معصية الله، كما ضمنه ملامح من الوعظ والزهد والإرشاد والتوكل على الله والرضى بالقليل من الـرزق الذي كتب للمرء، وأنى يفوته، أو يدرك دون ما قسم له، وحول هذا المبحث الأخير يقول عبد الله:

قَـدْ يُرْزَقُ المـرءُ لا مِن فضـلِ حيلتِـه
ويُصْرَفُ الرِّزقُ عنْ ذي الحيلةِ الدّاهي
مـا نـالني مِن غِنىً يـومـاً ولا عـدمٍ
إلاّ وقـولـي عليـه الْـحـمـدُ لِـلَّهِ[2]

* * *

(١) الكامل في اللغة والأدب ١/٧١.
(٢) العقد الفريد ٢/١٨٣، والعدم: الفقر.

(ولكن سل الله من فضله)

ومن مواعظه التي تدور حول المعنى السابق، قوله:

ألا تـزعِ الـقـلبَ عـنْ جـهـلِهِ
وعـمّـا تُـؤنَّـبُ مِـنْ أجـلِهِ
فـأُبـدِلَ بـعـد الصِّـبـا حـلمـهُ
وأقـصـرَ ذو الـعـذْلِ عـن عـذلـه
ولا تُـتبـع الـطَّرفَ مـا لا تـنـالُ
ولـكـنْ سـلِ الـلَّهَ مِـن فـضـلِه
فـكـمْ مِـن مُـقِـلٍّ يـنـالُ الـغِـنـى
ويُـحـمـدُ فـي رزقِـه كـلِّهِ[1]

* * *

(الموت هول داخل)

وأمام هول الموت، وصروف الدهر يقف الشاعر متأملاً متسائلاً فيقول:

يـا قَـومُ كـيـفَ سـواغُ عـيشٍ
لـيسَ تُـؤمَـنُ نـاجـعـاتُـهْ

---

(١) الأغاني ١١/٧٨. وتزع: تردع. والحلم، العقل، خلاف الجهل، والعذل: اللوم.

لـيـسـتْ تـزالُ مـطلّةً
تـغـدو عـلـيـكَ مُـنَـغِـصّـاتـه
الـمـوتُ هـولٌ داخـلٌ
يـومـاً عـلى كـرْهٍ أنـاتـهُ
لا بـدَّ لـلـحـذرِ الـنّـفـورِ
مـنَ أنْ تُـقَـنِّـصَـهُ رُمـاتُـه[1]

* * *

(١) المصدر نفسه ٣/٢١٣ . والحذر النفور: الأسد الهصور.

في العصر العباسي

ربيعة الرّقي

(فإنّ المنيّة من خلفه)

ومن الشعر الزهدي الهاديء النبرة، اللين العبارة، ما قاله ربيعة بن ثابت الأنصاري، وكان يسكن الرقة، وهو من شعراء العصر العباسي الأول؛ يقول ربيعة ناصحاً وواعظاً:

ولا تسألِ النّاسَ ما يملكونَ
ولكنْ سَلِ اللَّهَ وَاسْتَكْفِهِ
ولا تخضعَنَّ إلى سفلةٍ
وإنْ كانتِ الأَرضُ في كَفّهِ
فإنَّ اللّئيمَ وإنْ خِلْتَهُ
كريماً يذودُكَ عن عُرْفِه
ويرجع محصولُ أخلاقِه
إلى أصلِهِ وإلى صنفِه

وكـلّ مُـقِـلٍ وذي ثـروةٍ
فـإنَّ الـمـنـيّـةَ مِـن خَـلْفِـه(١)

* * *

القاسم بن إبراهيم

(إنما الدنيا متاع زائل)

ومن أسلس الشعر الزهدي، وأسهله مأخذاً، وأغناه معنى، ما وعظ به الناس القاسم بن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب، أخو محمد بن إبراهيم، الذي خرج في عهد المنصور؛ يقول القاسم:

أيُّهـا الـطّالبُ أجْمِـلْ وَاقْتَـصِـدْ
وأرِحْ نـفسَـكَ مِـن جـهـدٍ وكـدّ
لا يـزيـدُ الـحـرصُ مِن رزقٍ ولا
يُـنقصُ الإجـمـالُ مِن رزق أحـدْ
فَـاتَّـعِظ واسْـمـحْ لـمـا أنتَ لـه
وتـزوّدْ زادَكَ الـيـومَ لِـغَـد
إنّـمـا الـدنـيـا مـتـاعُ زائـلٌ
عـن قـليـلٍ وإلى الـلّهِ الـمـردُّ(٢)

(١) محاضرات الأدباء، للراغب الأصبهاني ١٧١/١ . دار مكتبة الحياة. بيروت ١٩٦١ م. والسفلة: الرعاع. والعرف: المعروف. تحقيق هوارت دن. ط بغداد وبيروت.

(٢) أخبار الشعراء، أو كتاب الأوراق، للصولي ص ١٩٦ .

(فإنك مجزي بما أنت صانع)

ويقول القاسم بن صبيح في المعنى نفسه:

سَأَطْلُبُ بالإجمالِ ما أنا طالبٌ
وإنّي إذا ما ضاقَ رزقٌ لَقانِعُ
وإنّي لأَسْتَغْني فما أبطرُ الْغِنى
وما المالُ إلّا عارضٌ وودائع
ألا أيُّها اللاّهي وقد شابَ رأسُه
أَلَمَا يَزِعْكَ الشَّيْبُ والشَّيبُ وازع
ترحَّلْ مِنَ الدُّنيا بِزادٍ مِنَ التُّقى
فإنّكَ مَجْزِيٌّ بِما أنتَ صانع[1]

* * *

(وأتى المشب فأين منه المهرب)

ومن الشعراء الذين اتهموا بالزندقة، وأسلسوا لشهواتهم القياد، ثم ما لبثوا أن تابوا إلى ربهم، مخلفين شعراً في الزهد والتوبة والموعظة، صالح بن عبد القدوس، أحد موالي الأزد،

(١) المصدر نفسه ص ١٨٥. وبالإجمال: بالرفق والإقتصاد. وأبطر: أكفر.

في أواخر الدولة الأموية وأوائل الدولة العباسية؛ يقول صالح من شعر له. في غاية الجودة والفصاحة والسلاسة:

دَعْ هذه الدُّنْيا عداكَ زمانُه
وَازْهَدْ فعُمركَ مَرَّ مِنْهُ الأَطْيَبُ
ذهبَ الشّبابُ فما لهُ مِنْ عودةٍ
وأتى المشيبُ فأينَ منه المهربُ
وغرورُ دنياكَ التي لا تسعى لها
دارٌ حقيقتُها متاعٌ يذهب
تبّاً لِدارٍ لا يدومُ نعيمُها
ومشيُدها عمّا قليلٍ يخرب
فعليكَ تقوى اللّهِ فَالْزَمْها تَفُزْ
إنَّ التَّقِيَّ هو البهيُّ الأهيب
وَاعْمَلْ بطاعتهِ تَنَلْ فيه الرّضا
إنَّ المطيعَ له لديْهِ مقرَّب
وَاقْنعْ ففي بعضِ القناعةِ راحةٌ
واليأسُ عمّا فاتَ فهو المطلبُ[1]

* * *

(١) شعر الزهد ص ٢٨٦.

(فبلاؤه حسن جميل)

ومن شعر ابن عبد القدوس الزهدي، شعره الآخر ويتميز بالسهولة والرشاقة، وفيه يقول:

اللّهُ أحمدُ شاكراً
فبلاؤه حسنٌ جميلُ
أصبحْتُ مستوراً مُعافى
بينَ أنْعُجِهِ أجولُ
خلْواً مِنَ الإخْوانِ خفُّ
الظَّهْرِ يُقنَعُني القليل
سيّانِ عندي ذو الْغِنى
المتلافُ وَالْمُثْري البخيل
ونفيتُ باليأسِ المنى
عنّي فطابَ ليَ القليل
والنّاسُ كلُّهُمُ لِمَنْ
خفَّتْ مؤونتُه خليل[1]

* * *

(بلوت أمور الناس)

ومن بديع زهدياته وحكمه قوله:

---

(١) المرجع نفسه ص ٢٨٧.

بلوْتُ أمــورَ النــاسِ سبعينَ حـجّــةً
ولابسْتُ صرفَ الدّهرِ في العُسْرِ واليُسْرِ
فلم أرَ بعــدَ الـدينِ خيــراً مِنَ الْغِنى
ولـم أرَ بعـدَ الكفـرِ شـرّاً مِنَ الْفقـرِ[1]

* * *

(والشيب للجهل حرب)

ومن الشعراء الذين تابوا إلى ربهم وزهدوا في الحياة الدنيا من بعد ما قضوا حياة عامرة باللهو، محمد بن حازم الباهلي، الشاعر العباسي الذي دخل يوماً على إبراهيم بن المهـدي، فناشده، وآكله، ولما حضر الشراب سأله إبراهيم أن يشرب فأبى، ثم قال من جيد الشعر الزهدي وأسلسه:

أَبَــعْــدَ خــمــسيــنَ أُصْــبــو
والــشَّـيْــبُ لِــلجــهــلِ حَــرْبُ
سِــنٌّ وشــيْــبٌ وجــهــلٌ
أمــرٌ لَــعَــمْــرُكَ صــعــبُ

---

(١) معادن الجواهر ونزهة الخواطر، للسيد محسن الأمين ص ٤٢٤ . بيروت ١٤٠١ هـ.

آلـيْـتُ أشـربُ كـأسـاً
ما حـجّ لِـلَّهِ ركْـبٌ[1]

* * *

العلوي البصري

(قتلت الناس إشفاقاً)

ومن الأبيات الدالة على التألّه، وفيها من روح الزهد والندامة ما نسب إلى العلوي البصري من قول هو التالي :

قـتـلـتُ الـنـاسَ إشـفـاقـاً
عـلـى نَـفْـسِـيَ كـيْ تـبـقـى
وحـزتُ الـمـالَ بـالـسّـيـفِ
لـكـيْ أنـعـمَ لا أشـقـى
فـمـنْ أبـصـرَ مـثـوايَ
فـلا يـظلِمْ إذاً خَـلْـقـا
فـوا وَيْـلي إذا مـا متُّ
عـنـدَ الـلَّهِ ما ألـقـى
أخـلداً فـي جِـوارِ الـلَّهِ
أم فـي نـارِه أُلْـقـى[2]

---

(١) الأغاني ١٢/١٦٤.

(٢) رسالة الغفران ص ٢٢٦.

(ومضى بفصل قضائه أمس)

وقال أصبغ بن الفرج: كان بنجران عابد يصيح في كل يوم صيحتين بهذين البيتين:

قطعَ البقاءَ مطالِعُ الشّمسِ
وغُدُوُّها مِن حيثُ لا تُمْسي
وطلوعُها حمراءَ قانيةً
وغروبُها صفراءَ كَالْوَرْسِ
اليومَ يُخبرُ ما يجيءُ بهِ
ومضى بفضلِ قضائِه أمسِ(١)

* * *

(أي صفو إلاّ إلى تكدير)

ومن أصفى الشعر الزهدي، وهو لا يخلو من الحكمة والمثل، والطرافة والجدّة، وهو في غاية الرقة والسلاسة، والجودة ما قاله الشاعر العباسي المجدّد، محمد بن يسير الرياشي، وكأنما هو ينعي نفسه قبل الموت. يقول:

---

(١) العقد الفريد ٣٢٢/١. والورس: الزعفران.

أيُّ صَفْوٍ إلاّ إلى تكديرِ
ونعيمٍ إلاّ إلى تغييرِ
وسرورٍ ولذّةٍ وحبورٍ
ليسَ رهناً لنا بيومٍ عسيرِ
عَجَباً لي ومِن رضائِي بِدُنْيا
أنا فيها على شَفا تغريرِ
عالمٌ لا أشكُّ أنّي إلى اللّهِ
إذا متُّ أو عذابِ السّعيرِ
ثُمَّ ألهو ولسْتُ أدري إلى
أيِّهما بعدَه يصيرُ مصيري
أيُّ يومٍ عليَّ أفْظعُ مِن يومٍ
بهِ تُبرزُ النُّعاةُ سريري
كلّما مُرَّ بي على أهلِ نادٍ
كنتُ حيناً بِهِمْ كثيرَ المرور
قِيلَ مَن ذا على سريرِ المنايا
قيلَ هذا محمّدُ بنُ يسيرِ[1]

* * *

(١) الكامل في اللغة ١/٢٤٢. ورهناً: وقفاً. وشفا: حافة. والتغرير: الخداع. وسريري: كناية عن النعش. والمنايا، جمع مية، الموت وعسير: شديد. والحبور: الفرحة والبهجة.

(ويل لمن لم يرحم الله)

ويتمثل خوف ابن يسير من مواجهة الموت، بل من مواجهة ما بعد الموت، بقوله الذي يتحسر فيه على الأيام التي قضاها في غير جنب الله، فيقول نادماً متحسراً:

وَيْلٌ لِمَنْ لَمْ يَرْحمِ اللَّهُ
وَمَنْ تكونُ النارُ مَثْواهُ
يا حسرتي في كلِ يومٍ مضى
يذكرُني الموتُ وأنساه
مَنْ طال في الدنيا بهِ عمرُهُ
وعاشَ فالْموتُ قُصاراه
كأنَّهُ قد قيلَ في مجلسٍ
قد كنتُ آتيهِ وأغشاه
وسارعَ الْيُسري إلى ربّهِ
يرحمُنا اللَّهُ وإيّاهُ[1]

* * *

سفيان الثوري (ت ١٦١ هـ)

(وذخره الله العلي الكبير)

من ألمع رجال الحديث والتصوف في المائة الثانية من

(١) الأغاني ١٢/١٣٧. ومثواه: مقرّة. وقصاراه: غايته. وأغشى: آتي.

الهجرة، أبو عبيدة سفيان بن سعيد الثوري الذي دعا إلى تعزيز الثقة بالله، والاعتماد عليه، وأن يفـوّض له الأمـر، بصدق، وبقنـاعة الـزاهدين، وصبـر التائبين. يقـول سفيـان نـاصحـاً وواعظاً:

إنْ كـنتَ تـرجـو الـلّهَ فَـاقْنَـعْ بـهِ
فَعِنـدَهُ الـفضـلُ الـكثيـرُ البشيـرْ
مَـن ذا الـذي تـلزمُـه فـاقـةٌ
وذُخْـرُهُ الـلّهُ الـعـليُّ الـكـبيـرْ[1]

* * *

(إذا أنت لم ترحل بزاد)

كما يقول ثانية:

إذا أنْتَ لم تـرحـلْ بِـزادٍ مِنَ التُّقى
ولاقيْتَ بعـدَ المـوتِ مَن قـد تَـزَوَّدا
نَـدِمْـتَ على أنْ لا تـكـون كَمثـلِهِ
وأنّـكَ لم ترصـدْ لِما كـانَ أرْصـدا[2]

* * *

(١) شعر الزاهد ص ١٠٧. والفاقة: الفقر.
(٢) نفسه ص ١٠٨.

(وبعد الثمانين ما ينتظر)

ومن أرق الشعر الزهدي، وألصقه بالنفس، وأصدقه، ما عبّر به عن نفسه الفضيل بن عياض، المروزي اليربوعي، وكان محدثاً وزاهداً؛ يقول الفضيل الذي بلغ الثمانين أو كاد:

بلغْتُ الثّمانينَ أَوْجُزْتُها
فماذا أُؤَمِّلُ أَوْ أَنْتَظِرْ
أتى لي ثمانونَ مِن مولِدي
وبعدَ الثمانينِ ما يُنْتَظَرْ
عَلَتْني السّنونَ فَأَبْلَيْتَني
فرقَّتْ عِظامي وكَلَّ البصرْ(١)

* * *

(كيف يبكي لمحبس في طلول)

ومن الشعراء الذين انصرفوا إلى اللذائذ ولهو العيش، وما

(١) شعر الزهد ص ١١١. ويقال إن الشطر الثاني من البيت الأخير، أتمه علي بن خشرم، وكان حاضراً لما قال الفضيل: (علتني السنون فأبلينني)، فخنقته العبرة، ولم يستطع إتمام الكلام.

لبثوا أن تابوا إلى ربهم، وعادوا عن غيّهم، بشار بن برد، الشاعر العباسي المجدد، وكان أعمى.

ويتميز شعره بالجدة والطرافة والعمق والابتكار. يقول بشار ذاكراً هول المحشر، ويدخل شعره في الزهد. ولا يخلو من نزعة تأملية:

كَيْفَ يَبْكي لِمَحْبِسٍ في طُلولِ
مَنْ سيقضي بِحبسِ يومٍ طويلِ
إنَّ في البعثِ والحسابِ لشغلاً
عنْ وقوفٍ بِرسمِ دارٍ محيلِ[1]

* * *

(وليس لأيام المنون خليل)

وقال في موضع آخر، ويدخل في المعنى نفسه تقريباً، وهو من جيد الشعر، وأفصحه:

بدا ليَ أنَّ الدَّهْرَ يقدحُ في الصَّفا
وأنَّ بقائي إنْ حييتُ قليلُ
فعِشْ خائفاً لِلموتِ أو غيرَ خائفٍ
على كلِّ نفسٍ لِلْحِمامِ دليلُ

---

(١) البيان والتبيين، للجاحظ ٣/١٦٤. دار صعب، بيروت ١٩٦٨ م.

خليلُكَ مـا قـدْمتَ مِن عمـلِ التّقى
وليسَ لِأيّـامِ الـمـنـونِ خـليـل[1]

* * *

(ويوم الحزن منه طويل)

ويقول أيضاً، وهو من جيد شعره في الزهد:

لَعَلَّكَ تـرجـو أنْ تـعـيشَ مـخـلّداً
أبـى ذاكَ شُـبّـانٌ لـنـا وكُـهـولُ
ولِـلدّهـرِ أيّـامٌ قِـصـارٌ إذا سـرَتْ
بخيرٍ ويـومُ الحـزْنِ منـهُ طـويـل[2]

* * *

(وسعى ساع وأخطأ في الرّجا)

ومنه أيضاً قوله الآخر الرائع:

مـا أراكَ الـدّهـرَ إلاّ شـاخـصـاً
دائـبَ الـرّحـلةِ فـي غـيـرِ عَـنَـا
فـدعِ الـدُّنيـا وعِشْ في ظِـلِّهـا
طـلب الـدنـيـا مـنَ الـدّاءِ الْـقِـيـا

---

(١) زهر الآداب، للحصري ٢/٤٢٤. دار إحياء الكتب العربية ١٩٥٣ م.
(٢) البيان والتبيين ٣/٤٧٤.

رُبّما جاءَ مقيماً رزقُهُ
وسعى ساعٍ وَأَخْطَى في الرَّجا[1]

* * *

الحسين بن مطير (ت ١٦٩ هـ/ ٧٨٥ م)

(فما لك نفسي بعدها تستعيرها)

ومن الشعر الغني بالحكمة والموعظة والكلمة الطيبة، ما قاله الشاعر الأموي العباسي، الحسين بن مطير مولى بني أسد بن خزيمة، يقول ابن مطير، وهو من جيد الشعر وأفصحه:

وما الجودُ مِن فقرِ الرِّجالِ ولا الغِنى
ولكنّ ذا خِيمُ الرِّجالِ وخِيرُها
فكمْ طامعٍ في حاجةٍ لنْ ينالَها
وكم يائسٍ منها أتاهُ بشيرُها
ونفسَكَ أكرِمْ عن أمورٍ كثيرةٍ
فما لَكَ نفسٌ بعدَها تستعيرُها
فمنْ يَتَّبِعْ ما يُعجبُ النفسَ لم يزلْ
مُطيعاً لها في فعلِ شيءٍ يضيرُها

(١) ديوان بشار ٤/١٥٣ . لجنة التأليف والترجمة . تونس ١٩٥٧ م.

ولا تـقــربِ الأمْــرَ الـحــرامَ فــإنّــه
حــلاوتُــه تفنى ويبـقى مــريــرَهـــا
ولا تُلْهِـكَ الـدنيـا عن الحقِّ واعْتمِـدْ
لِآخــرةٍ لا بــدَّ أنْ سـتـصيـرُهــا[1]

* * *

(ولعلّ صهرك صاحب البيت)

ومن جيد ما قال أحدهم في وصف الدنيا، وفـي المــوت الذي لا بد منه، قوله:

زيّـنْتَ بـيتَـكَ جــاهــلاً وعــمــرْتَــهُ
ولـعــلَّ صـهــرَكَ صــاحــبُ الـبـيـتِ
مــن كــانــت الأيّــامُ ســائــرةً بــهِ
فـكــأنّــه قــد حَــلَّ بــالــمــوْتِ
والـمــرءُ مــرتهَـنٌ بِســوفَ ولـيـتـني
وهــلاكُــهُ فــي الـسّــوفِ والــلَّيْـت
لِــلَّهِ إنَّ فتـىً تــدبَّــرَ أمــرَه
فَــغَــدا وَرَاحَ مــبــادرَ الــمــوتِ[2]

---

(١) شعر الزهد ص ٦٢٧. والخيم: الطبع والأصل. والخير: الشرف والأصل.
ومريرها: مرارتها.

(٢) العقد الفريد ١/ ٣٢٢.

(كن كيف شئت)

للخليل بن أحمد الفراهيدي، مؤسس علم العروض، وأحد أبرز المفلقين من العلماء في عصره، أشعار تنم عن نفس شفافة، زاهدة، وهي خلاصة لتجاربه في الحياة، ومن هذا القبيل، قوله:

كُنْ كيفَ شِئْتَ فَقَصْرُكَ الْموتُ
لا مُزْحَلٌ عنهُ ولا فَوْتُ
بينا غِنىً بيتٍ وبهجتُهُ
زالَ الغنَى وتقوَّضَ البيتُ(١)

* * *

(وما هي إلاّ ليلة ثم يومها)

ومنه أيضاً قوله:

وما هي إلاّ ليلةٌ ثمّ يومُها
وحَوْلٌ إلى حولٍ وشهرٌ إلى شهرِ
مطايا يُقَرِّبْنَ الجديدَ إلى البِلى
ويُدْنِينَ أشلاءَ الكرامِ إلى القبرِ

(١) عيون الأخبار، لابن قتيبة ٢/٣٠٤. والمزحل: الزوال، والتباعد. وتقوّض: تهدم.

ويتــركْـنَ أزواجَ الـغيــورِ لِــغيــره
ويقسمْنَ ما يحوي الشّحيحُ مِنَ الْوَفْرِ[1]

* * *

(فإن الذي هو آتٍ قريب)

ومنه، أيضاً، قوله:

وقبـلَكَ داوى الـطبيـبُ الـمـريضَ
فعــاشَ المــريضُ ومــاتَ الـطّبيبُ
فكُـنْ مـسـتـعـدّاً لِـدارِ الـفـنـاءِ
فــإنَّ الــذي هــو آتٍ قــريــبُ[2]

* * *

(وإذا افتقرت إلى الذخائر)

وثمة بيت ينسب إلى الخليل، وهو في الغاية من البلاغة والحكمة والتوجيه للتزود بالعمل الصالح، وهو التالي:

وإذا افْتَقَـرْتَ إلى الـذَّخـائِـرِ لم تَجِـدْ
ذُخْـراً يكـونُ كصـالـحِ الأعمــالِ[3]

* * *

---

(١) وفيات الأعيان ٥/٢٠٩ ـ ٢١٠. والأشلاء: القطع. والشحيح: البخيل.
(٢) المصدر نفسه ٥/٢١٠.
(٣) الكامل في اللغة والأدب ١/٢٤١.

(إن القنوع الغنى لا كثرة المال)

للعتابي، واسمه كلثوم بن عمرو، من شعراء الدولة العباسية، زمن الرشيد والمأمون، شعر يتميز بالطبعية والعفوية، وحسن التصرف بالكلام، وإن منه ذلك الذي يتسم بالحكمة والزهد، لجهة الحث على التخلي عن الطمع، والاكتفاء بالقليل. يقول العتابي:

حَتّى متى أنا في حِلٍّ وتَرْحالِ
وطولِ شُغْلٍ بإِدْبارٍ وإقبالِ
بِمشْرِقِ الأرضِ طوراً ثم مغربِها
لا يخطرُ الموتُ مِن حرْصٍ على بالي
ونازحِ الدّارِ ما أنفكُّ مغترباً
عنِ الأَحبّةِ ما يَدْرون ما حالي
ولو قنعْتُ أتاني الرّزقُ في دَعَةٍ
إنَّ القنوعَ الغِنى لا كثرةُ المالِ[1]

* * *

(ذريني تجئني منيتي مطمئنة)

ولقد عاتبته امرأته مرة على ترك السعي إلى العمل،

(١) العقد الفريد ٣/٢٠٩. ونازح الدار: البعيد عنها.

والاكتفاء بالقليل، خلافاً لما فعله منصور النمري الذي اقتنى الضياع، وبنى الدور، وجمع النساء. يقول العتابي متحدثاً عن زوجته:

تلومُ على تَرْكِ الغِنى باهليّةٌ
طوى الدّهرُ عنها كلَّ طِرفٍ وتالدِ
ذَريني تجئْني مُنْيَتي مطمئنّةً
ولم أتقحَّمْ هولَ تلكَ المواردِ
فإنَّ كريماتِ المعالي مشوبةٌ
بِمُستودعاتٍ في بطونِ الأساودِ[1]

* * *

(وليأتين عليك)

ومن لطيف شعر العتابي الزهدي، قوله:

الْمرءُ يجمعُ ما لَه مُسْتهتراً
فرحاً وليسَ بآكلٍ ما يجمعُ
وَلَيَأْتِيَنَّ عليكَ يومٌ مرّةً
يُنكى عليكَ مقنّعاً لا تسمعُ[2]

(١) عيون الأخبار ٢٣٢/١. والباهلية: المنسوبة إلى باهلة، القبيلة العربية المعروفة. والطرف: الحديث من المال. والتالد: القديم، والأساود: الحيات جمع أسود.

(٢) العقد الفريد ٢٩٧/٣. والمستهتر بالشيء: المولع به. وينكى: ينقلب عليك.

(ما ليس يبقى فلا والله ما اتّزنا)

ومن الزهاد الذي يشار إليهم بالبنان، وحفظ التاريخ لهم أسمى معاني القدر والاحترام، عبد الله بن المبارك، أحد أشهر الفقهاء والعلماء في عصره، عنيت العصر العباسي الأول، وأحد ألمع زهاد عصره، إطلاقاً، وإن من شعره الزهدي، ذاك الذي كان يخاطب نفسه به في كل مرة يخرج فيها إلى الحج.

يقول ابن المبارك:

بُغْضُ الحياةِ وخوْفُ اللَّهِ أَخْرجني
وبيعُ نفسي بما ليستْ له ثمنا
إنّي وزنْتُ الذي يبقى لِيعدِلَه
ما ليسَ يبقى فلا واللَّهِ ما اتَّزَنا(١)

* * *

(فاستغن بالدّين عن دنيا الملوك)

وإن من شعره الزهدي الآخر، وفيه يتعجب ابن المبارك من الذين يسعون لدنياهم، فقصروا في ذات الله، وطمعوا بما عند الناس من ملوك وغير ملوك. يقول في هذا المعنى:

---

(١) شعر الزهد ص ٩١.

أرى أُناساً بِأدْنى الدِّينِ قد قِنعوا
ولا أراهمْ رَضُوا بِالعيشِ بالدُّونِ
فَاسْتَغْنِ بالدِّينِ عن دُنْيا الملوكِ كما
اسْتَغْنى الملوكُ بِدُنْيَاهُمْ عَنِ الدِّينِ(١)

* * *

(يحصده الموت كلما طلعا)

وثمة أبيات قالها ابن المبارك يدعو فيها طالب العلم والناس جميعاً، إلى مبادرة الزهد والورع، وهجر النوم والشبع. يقول:

يا طالبَ العلمِ بادرِ الْوَرَعا
وهاجرِ النَّوْمَ وَاهْجُرِ الشَّبَعا
يا أيُّها النَّاسُ أنتُم عُشُب
يحصدُهُ الموتُ كُلَّما طلعا(٣)

* * *

(فلم يبق للأيام كهل ولا فتى)

ومن رائع شعر الزهد الذي جادت به قريحة ابن المبارك، قوله:

ألا قِفْ بِدارِ المترفين وقُلْ لهمْ
ألا أينَ أربابُ المدائنِ والْقُرى

(١) المرجع نفسه ص ٩٢.
(٣) شعر الزهد ص ١١٠.

وأيـنَ المـلوكُ النّـاعـمـون بـغـبـطةٍ
ومَنْ عـانقَ الْبِيضَ الرَّعـابيبَ كَالـدُّمى
فـلو نـطقَتْ دارٌ لَـقـالَـتْ ديـارُهُـمْ
لـكَ الخيـرُ صـاروا لِلتُّرابِ ولِلْبِلى
وأفـنـاهـمُ كَـرُّ الـنّـهـارِ ولـيـلـه
فلم يبقَ لِـلأيّـامِ كهـلٌ ولا فتى[1]

* * *

(فطوبى لعبد شغله بك دائماً)

ومن الشعر الزهـدي المنسوب إلى عبـد الله بن المبارك، ويغلب عليه طابع التصوف، قوله:

وكـلُّ اجْتهـادٍ فـي سـواكَ مضيَّـعُ
وكـلُّ كـلامٍ لا بِـذكـرِكَ آفـاتُ
وكـلُّ اشْتغـالٍ لا بِحُبِّـكَ بـاطـلٌ
وكـلُّ سـمـاعٍ لا لِقـولِـكَ زلّات
وكـلُّ اجتمـاعٍ لا إليـكَ ضـلالـةٌ
وجـدٌّ وسـعـيٌ لا إلـيـكَ بـطالات
وكـلُّ وقـوفٍ لا لِـبـابِـكَ خـيـبـةٌ
وكـلُّ عكـوف لا إليـكَ جنـايـات

---

(١) مجلة معهـد المخـطوطـات العـربيـة، ص ٣١٣. ج ١. مجلد ٢٨. ١٩٨٤ م. والرعابيب، جمع رعبوبة، وهي الشابة الناعمة.

وكـــلّ رجـــاءٍ دونَ فـــضــــلك آيسٌ
وكــلُّ حــديثٍ عن ســـواكَ خــطيئـــات
وأنتَ حـــراءُ الحبِّ والغيـــرُ بـــاطـــلُ
فـــطُوبى لِعبـدٍ نـــالـه منـــكَ أوقـــات
فيـا ويـلَ قلبٍ لم تكنْ فيـــه ســاكنـــاً
ويـــا فـوزَ قلبٍ فيـــه منـــكَ مـــودّات
فـــطوبـى لعـبـــدٍ شغـلُه بـــكَ دائمـــاً
كحــالِ مُحِبٍّ أدركتْـــهُ الـعنـــايـــات
وسحقـــاً لِمـطرودٍ عنِ البـــابِ مبعـداً
ولـيس لـــه إلاّ التّشــاغـــلُ هـمّـــات
على نفسِـه فَلْيَبْـكِ مَنْ فـاتـه الهــدى
ولـيس لـــه عـــزمٌ إليـــكَ ونـيّـــات[١]

* * *

(إن السفينة لا تجري على اليبس)

وثمة بيتان من الشعر الزهدي، يتّسمان بالرقة، وينسبان إلى ابن المبارك، وهما التاليان:

مـــا بـــال دينـــكَ تـرضى أنْ تُـــدَنِّسَـــهُ
وثـوبكَ الـدّهـرَ مغسـولٌ مِنَ الـدَّنَسِ

(١) المرجع نفسه ص ٣٢٠ ـ ٣٢١.

تـرجـو النّجــاةَ ولم تسلكْ طـريقتَهــا
إنَّ السّفينـةَ لا تجـري على اليبسِ[١]

* * *

ريحانة

(من كان راكب يوم)

ومن شواعر الحكمة والزهد، والتصـوف، تلك المعروفـة بـاسم ريحانـة، وكـان لقيهـا إبـراهيم بن الأدهم، الصـوفي المعروف، فذاكرها شيئاً من أمر الآخرة فأنشأت تقول:

مَنْ كــانَ راكبَ يــومٍ لـيسَ يَــأْمَنُـهُ
ولـيـلة تــائـهــاً فـي عـقْـبِ دنــيــاهُ
فكيفَ يلتــذُّ عـيشــاً لا يَــطـيـبُ لـه
وكيفَ تعـرفُ طعمَ الغمْضِ عينـاه[٢]

* * *

ميمونة

(دنيا غرارات)

ومنهن أيضاً، تلك المسماة ميمـونة السـوداء، التي لقيها

(١) المرجع نفسه ص ٣١٨.
(٢) شعر الزهد ص ١٨٧.

عبد الله بن المبارك، فطلب أن تعظه، فقالت:

دُنْيا غرارات فذرْها
فإنّها مركبٌ جموحُ
دونَ بلوغ الجهولِ منها
منيةُ نفسِه تطوحُ
لا تركبِ الشَّرَّ فَاجْتَنِبْهُ
فإنّه فاحشٌ قبيحُ
والخيرُ فاقدمْ عليهِ جهراً
فإنّه واسعٌ فسيحُ[1]

* * *

(كذاك من مسكنه القبر)

ومن رائع شعرها الزهدي قولها:

وليسَ لِلْميِّتِ في قَبْرِه
فِطْرٌ ولا أَضْحى ولا عشرُ
باتَ مِنَ الأَهْلِ على قُرْبِه
كذاكَ مَنْ مسكنُه القبرُ[2]

* * *

---

(١) نفسه ١٩١.

(٢) نفسه ١٩٣.

(يرمي التراب ويحثوه على خدي)

ومن جيد ما قال الغزال في الشعر الزهدي:

أصبحتُ وَاللَّهِ مجهوداً على مَلَلٍ
مِنَ الحياةِ فصبري غيرُ مُمْتَدِّ
وما أفارقُ يوماً مَنْ أفارقُه
إلاّ حسبْتُ فراقي آخر العهد
أُنْظرْ إليَّ إذا أُدرجْتُ في كفني
وانظرْ إليَّ إذا أدرجْتُ في لحدي
وَاقْعُدْ قليلاً وعايِنْ مَن يُقيمُ معي
مِمَّنْ يُشَيِّعُ نعشي مِن ذوي وُدّي
هيهاتِ كلُّهمُ في شأنِه لعبٌ
يرمي التّرابَ ويحثوه على خدّي[1]

* * *

البهلول (ت ١٩٠ هـ)

(وفي العيش فلا تطمع)

ثمة اسم من أسماء المجانين، لمع في . عهد الرشيد،

(١) العقد الفريد ١/ ٣٢٥.

الخليفة العباسي، وما كان مجنوناً، لكنه تظاهر بذلك تقيةً، وإن كـان به جنـون حقاً، فهـو جنون الحبّ الإلهي، وشـدة مخافته الله سبحانه وتعـالى، فلا عجب أن نجـد كلام هـذا المجنـون، بهلول بن عمـرو، وكنيتـه أبـو وهيب الصيـرفي الكوفي. . أقول لا عجب أن نجد في كلام أبي وهيب، وفي شعره خاصة، الكثير من المعاني الحكمية والزهدية القائمـة على الوعظ والإرشاد، والاكتفاء بالقليل من المتاع، وإن من هذا الشعر، على سبيل المثال، قوله:

دَعِ الْـحِـرْصَ عـلى الـدُّنـيـا
وفـي الـعـيشِ فَـلا تَـطْمَـعْ
ولا تَـجـمـعْ مِـنَ الْـمـالِ
فـلا تَـدْري لِـمَـنْ تـجـمـعْ
فـإنَّ الـرِّزقَ مـقـسـومٌ
وسـوء الـظَّنِّ لا يـنـفـعْ
فـقـيـرٌ كـلُّ ذي حـرصٍ
غـنـيٌّ كـلُّ مَـنْ يـقـنـعْ(١)

* * *

(١) شعر الزهد ١٧٨ ـ ١٧٩. وينسب هذا الشعر لأبي نواس أيضاً. أنظر المحاسن والأضداد ص ١٠٢.

(ويحثو التّرب هذا ثم هذا)

ومن جيد قوله الزهدي، وبليغ معناه، ما قاله مخاطباً الرشيد:

وَهَبْ أنْ قدْ ملكْتَ الأرضَ طُرّاً
ودانَ لكَ البلادُ فكانَ ماذا
أليسَ غداً مصيرُكَ جوفَ تُرْبٍ
ويحثو التّرْبَ هذا ثمّ هذا[١]

* * *

(تقول لله ماذا حين تلقاه)

ومن أشعاره الزهدية قوله:

يا مَنْ تمتّعَ بالدّنيا وزينتها
ولا تنامُ عنِ اللّذّاتِ عَيْناهُ
شغلْتَ نفسَكَ في ما لسْتَ تذكرُه
تقولُ لِلّهِ ماذا حينَ تلقاهُ[٢]

* * *

(١) نفسه ص ١٧٩ . ودان: خضع وذلّ. ويحثو: يلقي ويهيل.

(٢) نفسه ص ١٧٩ .

لَـيسَ لِـلمـخـلوقِ تـدبـيـرُ
بَـلِ الـلَّهُ الـمُـدَبِّـر(١)

* * *

(يا سوأتي فما اكتسبت)

ومن بديع شعر أبي نواس الزهدي، ما قاله وقد تصور نفسه مسجى على فراش الموت، تقلّبه الأيدي، ثم هو يغسل ويحنّط ويكفّن، ثم يحمل على سرير الموت، ثم يبعث يوم القيامة، وقد فرّط في حق الله أيّما تفريط. يقول النواسي نادماً ومناجياً نفسه، وهو من رائع الشعر السهل الممتنع:

يـا لَيْتَ شِـعْـري كيـفَ أنتَ عـلى
ظَـهْـرِ الـسَّـريـرِ وأنـتَ لا تَـدْري
يـا لـيـتَ شـعـري كـيـفَ أنـتَ إذا
غُـسِّـلْتَ بـالـكـافـورِ والـسِّـدْر
يـا لـيـتَ شِـعـري كـيـفَ أنـتَ إذا
وُضِـعَ الحسـابُ صبيحـةَ الْـحَشْـر
مـا حُـجّـتـي فـي مـا أتـيـتُ ومـا
قـوْلـي لِـرَبّـي بـلْ ومـا عُـذْري

---

(١) ديوان أبي نواس. ص ٦٢٠. تحقيق أحمد الغزالي. دار الكتاب العربي بيروت.

(يا نواسيّ تفكّر)

من أعجب العجب في شعر أبي نواس، الشاعر اللاهي والماجن، والفاتك، وزعيم الخمرة في الشعر العربي، أن نجد فيه نمطاً آخر يحاكي به كبار شعراء الزهد والموعظة والتوبة النصوح إلى الله. ونحن أمام هذه النماذج الرقيقة البالغة الروعة من زهديات أبي نواس، لا يسعنا إلّا أن نصدق توبته، فنذوب إعجاباً بهذا الشعر الزهدي البالغ الجودة، ومنه قوله مناجياً:

يا نواسيُّ تَفَكَّرْ
وَتَجَمَّلْ وَتَصَبَّرْ
ساءَكَ الدّهرُ بِشيءٍ
ولِما سَرَّكَ أكثرْ
يا كبيرَ الذّنبِ عفوُ اللّهِ
مِنْ ذنبِكَ أكبر
أكبرُ الأشياءِ عَنْ
أصغرِ عفوِ اللّهِ أكبر
ليسَ لِلإنسانِ إلّا
مَا قَضى اللّهُ وَقَدَّر

يــا سَــوْأَتــي مِمّــا اكْــتــسبْــتُ ويــا
أَسَفي على مــا فــاتَ مِن عمــري[1]

* * *

(كأنك لا تظنّ الموت حقاً)

ومن رائـع زهديـات أبي نواس، قـولـه المتضمن بـديـع الحكمة، ولطيف المعنى، ورفيع الأدب التوجيهي، والإرشاد الديني، وكأنما هو ليس أبا نواس الذي نعرف، زندقة ومجوناً وتهتكاً. يقول أبو نواس:

أخـي مــا بــالُ قلبِــكَ لـيسَ يَنْـقـى
كــأنَّــكَ لا تَــظُنُّ الــمــوتَ حَــقّــا
ألا يَــا ابْــنَ الــذيــنَ فَــنَــوْا وبــادُوا
أمــا والــلَّهِ مــا بــادوا لِــتَــبْــقــى
ومــا لَــكَ فَــاعْــلمنْ فــيهــا مـقــامٌ
إذا اسْــتــكــمــلْتَ آجــالاً ورزقــا
ومــا لــكَ غــيــر مــا قــدّمْــتَ زادٌ
إذا جُـعِـلَتْ إلـى الـلَّهَــواتِ تَــرْقــى

---

(١) المصدر نفسه، ص ٦١٠. والسرير: النعش. والسدر: الحنوط يحنط به الميت. والحشر: يوم البعث.

وما أحدٌ بِزادِكَ منكَ أحظى
وما أحدٌ بِذَنْبِكَ مِنْكَ أَشْقى[1]

* * *

(يا سائل الله فزت بالظّفر)

وإن من هذا الشعر الزهدي الوجداني الرائع قوله، وهو يفيض حكمة وموعظة وإيماناً:

يا سائلَ اللَّهِ فُزْتَ بِالظَّفَرِ
وبِالنَّوالِ الْهَنِيِّ لا الْكَدِرِ
فَارْغَبْ إلى اللَّهِ لا إلى بشرٍ
منتقلٍ في الْبِلى وفي الغِيَرَ
وَارْغبْ إلى اللَّهِ لا إلى جسدٍ
منتقل مِنْ صِباً إلى كِبَرِ
إنّ الذي لا يُخيبُ سائلَهُ
جَوْهرُهُ غيرُ جوْهرِ البشرِ
مالكَ بالتُّرَّهاتِ مشتغلاً
أفي يَدَيْكَ الأمانُ مِنَ سَقَرِ[2]

---

(١) شعر الزهد ص ٢٩٥. وبادوا: فنوا. واللهوات، جمع لهاة، وهي في أعلى الحلق. وهنا إشارة إلى نزاع الروح ساعة الموت.

(٢) نفسه ص ٢٩٨. وسقر: النار. والترهات: سفاسف الأمور التافهة. والغير: الأحداث والخطوب. والظفر: الفوز.

(وأراني أموت عضواً فعضوا)

ومن زهديات أبي نواس، وفيها ذكر لأهوال الموت والاحتضار، متأسفاً على ما فات من عمره في معصية الله تعالى، قوله:

شاعَ فِيَّ الفناءُ عُلْواً وسُفْلاً
وأراني أموتُ عضواً فعضوا
ذهبتْ جِدّتي بِطاعةِ نفسي
وتذكّرتُ طاعةَ اللّهِ نِضْوا(١)

* * *

(وفي العيش فلا تطمع)

ومن رائع زهد أبي نواس قوله:

دَع الْحرصَ على الدّنيا
وفي العيشِ فَلا تَطْمَعْ
ولا تجمعْ لكَ المالَ
فما تدري لِمَنْ تجمعْ
ولا تدري أفي أرضِكَ
أم في غيرِها تَصْرَعْ(٢)

---

(١) البيان والتبيين ٣/٤٧٧. والنضو: المهزول والمجهد.

(٢) المحاسن والأضداد، للجاحظ، ص ١٠٢. دار صعب. بيروت ١٩٦٩ م.

(للّه درُّ الشيب من واعظ)

ومن شعر أبي نواس الحكمي الزهدي قوله، وهو من بليغ القول وأعمقه:

أَيَّـةَ نـارٍ قَـدَحَ الْـقَـادِحُ
وأيَّ جِـدِّ بـلغَ الْـمـازحُ
لِـلَّهِ درُّ الـشّـيـبِ مِـن واعظٍ
ونـاصـحٍ لـو حـظِيَ الـنّـاصـح
يـأبى الْـفـتـى إلاّ اتـبّـاعَ الـهـوى
ومـنـهـجُ الـحـقِّ لـهُ واضـح
فَـاسْـمُ بِـعَـيْـنَـيْـكَ إلى نـسـوةٍ
مـهـو رُهُـنَّ الْـعَـمـلُ الـصّـالـح
لا يـجتـلي الـعـذراءَ مِـن خِـدرِهـا
إلاّ امْـرؤٌ مـيـزانُـه راجـح
مَـنِ اتّـقـى الـلَّهَ فـذاكَ الـذي
سِـيقَ إلـيـه الـمـتـجـرُ الـرّابـح[1]

* * *

(وبتقواه تمسّك)

ومن شعره الزهدي السهل الممتنع قوله:

---

(١) البيان والتبيين ٣/ ٤٨٥.

كُـنْ مَـعَ الـلَّهِ يَـكُـنْ لَـكْ
وَاتَّـقِ الـلَّهَ لَـعَـلَّكْ
لا تـكُـنْ إلّا مـعـدّاً
لِـلْمـنـايـا فـكـأنّـكْ
إنَّ لِـلمـوتِ لَـسَـهـمـاً
واقـعـاً دونَـكَ أوْبِـك
نـحـن نـجـري في أفـانـيـنِ
سُـكُـونٍ وتَـحـرُّك
فَـعَـلـى الـلَّهِ تـوكَّـلْ
وبِـتَـقْـواهُ تَـمَـسَّـك[1]

* * *

(لبّيك قد لبيت لك)

وما أرقّ هذه التلبية الشعرية الرقيقة التي لا تقال إلّا في موسم الحج، ولا تصدر إلا عن نفس شفّها الحزن والندم على المعصية؛ يقول أبو نواس، من شعر ينضح بالتوبة والغفران:

إلٰـهَـنـا مـا أَعْـدَلَـكْ
مـليـكَ كُـلِّ مَـنْ مَـلَكْ

---

(١) المصدر نفسه ٣/٤٨٥.

لَبَّيْكَ قد لَبَّيْتُ لَكْ
لبّيكَ إنَّ الحمدَ لَكْ
وٰالملكَ لا شريكَ لكْ
ما خابَ عبدٌ أَمَّلَكْ
أنتَ له حيثُ سَلَكْ
لولاكَ يا ربِّ هلكْ
لبّيك إنّ الحمدَ لكْ
والملكَ لا شريكَ لك
كلٌّ نبيٍّ ومَلَكْ
وكلٌّ مَنْ أهلٌ لك
وكلٌّ عبدٍ سألك
سبَّحَ أو لبّى مَلَكْ
لبيكَ إنّ الحمدَ لك
والملكَ لا شريكَ لك
يا خاطئاً ما أغفلَكْ
إعْمَلْ وبادرْ أَجَلَكْ
وَاخْتُمْ بخيرٍ عَمَلَكْ
لبّيك إنَّ الحمدَ لك
والملكَ لا شريكَ لك
* * *

(سبحان علاّم الغيوب)

ومن أروع ما قاله أبو نواس في التوبة والزهد والانقطاع إلى الله والندامة على الذنب، قوله مناجياً النفس:

سبحانَ علاّمِ الغُيوبِ
عجباً لِتَصْريفِ الخطوبِ
تغدو على قطفِ النّفوسِ
وتجتني ثمرَ القلوبِ
يا نفسُ توبي قبلَ أنْ
لا تستطيعي أنْ تتوبي
وَاسْتغفري لِذنوبِكِ
الرّحمٰنَ غفّارَ الذُّنوب
إنَّ الحوادثَ كالرّياحِ
عليكِ دائمةُ الهبوب
والموتُ شرعٌ واحدٌ
والخَلْقُ مختلفو الضُّروب
والسَّعْيُ في طلبِ التُّقى
مِن خيرِ مكسبةِ الكَسوب
ولقلّما ينجو الفتى
بتقاهُ مِن لطخِ العيوبِ(١)

(١) الديوان ص ١٠٠.

(واشكر لمولاك على نعمته)

ومن الأدب الوعظي، ذي النفحة الإيمانية الزهدية، ما ينسب إلى الإمام علي بن موسى الرضا (ع). يقول علي مزهداً بالدنيا، محذراً من زخرفها، حاثاً على التمسك بالخير والصبر، والتعلق بأهداب الفضيلة والتقوى:

لا تحرصَنْ فالحرصْ يُزْري بالفتى
ويُذْهِبُ الرَّوْنقَ عن بهجتِه
والحظ لا تجلُبُهُ حِيلَةٌ
كيفَ يخافُ المرءُ مِن فَقْرتِه
ما فاتكَ اليومَ سيأتي غداً
ما في الذي قُدِّرَ مِن حيلتِه
والرّزقُ مضمونٌ على واحدٍ
مفاتحُ الأشياءِ في قَبْضتِه
قد يُرزقُ العاجزُ مَعْ عجزِهِ
ويُحرمُ الكَيِّسُ معْ فِطْنتِه
لا تنهرِ المسكينَ يوماً أتى
فقد نهاكَ اللّهُ عن نهرتِه

إنْ عضَّكَ الدّهرُ فكنْ صابراً
على الذي فاتكَ من عضته
أوْ مسَّكَ الضّرُّ فلا تشتكي
إلّا لِمَنْ تطمعُ في رحمتِه
وَاقْنعْ بما أعطاكَ مِن فضلِهِ
واشْكرْ لِمولاكَ على نعمتِه[١]

* * *

صوت

(وإنّ امرءاً)

ومما حدث به الأصمعي قال: سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول: بينا أنا أدور في بعض البراري، إذا أنا بصوت يقول: . . . ولما سأل عن الصوت أصوت إنسي أم جنّي؟ لم يجبه، فنقش الشعر على خاتمه. والصوت الذي سمعه هو التالي:

وَإنَّ امْرَأً دُنْياهُ أكثرُ همِّهِ
لَمُسْتَمْسِكٌ مِنْهَا بِحَبْلِ غُرورِ[٢]

(١) جواهر الأدب. ص ٤٣٢. والمولى: السيد. ومسّك: أصابك. وعضك الدهر: أزرى بك وأساءك. وتنهر: تزجر. والكيّس: العاقل الذكي. والفقرة، واحدة الفقر، مصدر النوع. أو المرة. والرونق: ماء الشباب ونضارته.

(٢) المحاسن والأضداد ص ١٠٢.

(لا فخر إلاّ فخر أهل التّقى)

من أشهر شعراء الزهد والحكمة في الأدب العربي، أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم العنزي المعروف بأبي العتاهية، وهو أحد أبرز شعراء العصر العباسي، انقطع إلى الزهد في أواخر حياته، وأكثر من ذكر القبر واللحد، وذكر الموت، والبعث والوعد والوعيد. ومن رائع شعره الزهدي الحكمي قوله متعجباً، ومنبهاً، ومحذراً من الغفلة والفخر والكبرياء، وشعره من أسهل الشعر، وأوضحه معنى ودلالة، وأقربه تناولاً:

يا عجباً لِلنّاسِ لو فكَّروا
وحاسبوا أَنْفُسَهُمْ أبصروا
وعبروا الدُّنْيا إلى غيرِها
فإنّها الدُّنْيا لهمْ مَعْبَر
الخيرُ مِمّا ليسَ يَخْفى هو
المعروفُ والشّرُّ هو المُنْكَر
والموعدُ الموتُ وما بعدَهُ
الْحشرُ فذاكَ الموعِدُ الأكبر
لا فخرَ إلّا فخرُ أهلِ التُّقى
غداً إذا ضَمَّهُمُ الْمَحْشَر

لَـيَـعْـلَـمَـنَّ الـنّـاسُ أنَّ الـتُّـقـى
والــبـرَّ كــانــا خـيــرَ مــا يُــذْخــر
عــجــبــتُ لِــلإنــســانِ فــي فــخــرِه
وهْــو غــداً فــي قــبــرِه يُــقْــبَــر
ما بالُ مَــن أوَّلُــه نُــطْــفــةٌ
وجــيــفــةٌ آخــرهُ يَــفْــخَــر
أصــبــحَ لا يــمــلِكُ تــقــديــمَ مــا
يــرجــو ولا تــأخــيــرَ مــا يــحــذر
وأصــبــحَ الأمــرُ إلــى غــيــرِهِ
في كــلِّ مــا يقضى ومــا يُــقْــدَر[1]

* * *

(يدعوك ربك عنده فتجيب)

ويعجب أبو العتاهية للذين يشغلون بإحصاء العيوب على الناس، وهم غافلون عن عيوبهم، وعن الموت الذي لا محالة هو آتٍ. يقول أبو العتاهية:

يــا مَــنْ يَعــيــبُ وَعَــيْــبُــهُ مُــتَــشَــعِّــبٌ
كــمْ فيــكَ مِــنْ عيــبٍ وأنــتَ تَــعــيــبُ

---

(١) الكامل في اللغة ١/٢٣٩. ويؤخر: يحفظ ذخراً. وانظر: الديوان ١٥١ - ١٥٢.

لِـــلَّهِ دِرُّكَ كـيـفَ أنـتَ وغـايـةٌ
يَـدْعـوكَ ربُّـكَ عنـدَهُ فتُجيبُ[1]

* * *

(كلنا يكثر الملامة)

ومن بديع قوله في وصف الدنيا:

كُـلُّنـا يُكْـثِـرُ المـلامـةَ لِلدُّنيـا
وكـلٌّ يـحِـبِّـهـا مـفـتـونُ
والمقـاديـرُ لا تنـاولُهـا الأوهـامُ
لُـطفـاً ولا تـراهـا الـعـيـونُ
ويـمـرُّ الفـتـى وفـي كـلِّ يـومٍ
حـركـاتٌ كـأنّهـنَّ سكـونُ[2]

* * *

(والفقر عين الفقر في الأموال)

ومن جيد الشعر الزهدي، وأرقه، لأبي العتاهية، قوله مخاطباً الدنيا، داعياً إلى الأخذ بالبساطة، والرضا بالقناعة والكفاف:

---

(١) نفسه ١/٢٣٨.

(٢) العقد الفريد ١/٣١٢.

مــا أنــتِ يــا دُنـيــا بِــدارِ إقــامــةٍ
مــا زلْـتِ يــا دنيــا كَـفَـيْءِ ظِـلالِ
غـرسَ التَخَلُّصُ منـكِ بينَ جـوانحي
شجـرَ القنــاعــةِ والقنــاعــةُ مــالي
لمّــا حصلْتُ على القنــاعــةِ لم أزلْ
مــلِكــاً يــرى الإكـثــارَ كــالإقــلال
لمّــا حصلْتُ على القنــاعــةِ لم أزلْ
والـفقــرُ عـين الـفقــر فـي الأمــوال
مــا اعْتـاضَ باذلُ وجهـهِ ولـســانِـه
عِــوَضــاً ولــو نــالَ الغِنى بِسـؤال[1]

* * *

(حتى متى يستفزني الطمع)

وقريب من المعنى السابق قوله أيضاً:

حَـتّى مَـتـى يَـسْـتـفِـزُّنـي الـطَّـمَـعُ
ألَــيْسَ لـي بــالـكـفــافِ مُـتَّـسَـعُ
مــا أفـضــلَ الـصَّـبْـرَ والـقـنــاعــةَ
للنّــاسِ جـمـيـعــاً لــو أنَّـهم قـنِـعــوا

(١) ديوان أبي العتاهية، ص ٣١١. دار صادر ـ دار بيروت، ١٩٦٥ م.

وأخـدعَ الـلَّيـلِ والـنَّهـارِ لأقـوامٍ
أراهـم فـي الـغـيِّ قـد رقـعـوا
لِـلَّهِ درُّ الـدُّنـيـا فـقـدْ لـعـبـتْ
قـبلي بـقـومٍ فمـا تـرى صنعـوا
وكـان مـا قـدَّمـوا لأنـفـسِـهِـمْ
أعـظمَ نفعـاً مِنَ الّـذي ودعـوا[1]

* * *

(وعلى نفسه بغى كل باغ)

وقريب منه كذلك، قوله:

أيُّ عَـيْشٍ يـكـونُ أبـلغَ مِـنْ عـيشٍ
كـفـافٍ قـوتٍ بـقـدرْ الْـبَـلاغِ
صـاحـبُ البَـغْي لـيسَ يسـلمُ مِـنْـهُ
وعـلى نـفـسِـهِ بَـغـى كـلُّ بـاغِ
رُبَّ ذي نـعـمـةٍ تـعـرَّضَ منـهـا
حـائـلٌ بـينـنَـه وبـيـنَ الـمـسـاغِ
أبـلغَ الـدَّهـرُ في مـواعـظِهِ بـل
زاد فـيـهـنَّ لـي عـلى الإبـلاغ

(١) المصدر نفسه ص ٢٣٠.

غـيّبـتْـنــي الأيّــامُ عـقــلي ومــالـي

وشـبــابـي وصِـحَّـتــي وفــراغـي(١)

* * *

(وابتغينا من المعاش فضولاً)

ومن جيد زهديات أبي العتاهية، قولـه داعياً إلى القنـاعة والرضى بالقليل:

وَابْـتَغَـيْنَـا مِـنَ الْـمَـعَــاشِ فُـضُــولاً

لَــوْ قَـنِعْـنـا بِــدونِـهــا لاَكْـتَـفَـيْـنَـا

ولَعَمْــري لنَمْضِيَنَّ وَلاَ نَمْضِي بشيءٍ

مِـنْــهــا إذا مــا مَـضَـيْـنــا

عَـجَبــاً لِامْــرِيءٍ تيقّـنَ أنَّ المــوتَ

حــقٌّ فَـقَــرَّ بــالْـعـيشِ عَـيْـنَـا(٢)

* * *

(قد أورثت حزناً طويلاً)

ودعـوة أبي العتاهيـة إلى القناعـة، والاكتفـاء من الـدنيـا بالقليل، تستدعي منه ذمّ الحرص والجشع والطمع والبخل، والإقبال على الدنيا، والاستسلام للشهوات، وغير ذلـك من

---

(١) الأغاني ٣/١٤٥.

(٢) الديوان ص ٢٣١.

الصفات المذمومة التي تطيع محبّ الدنيا بطابعها المميز، ومن هذا الشعر المتضمن لما ذهبنا إليه، قوله:

الـحـرصُ داءٌ قــد أضــرَّ
بِـمَــنْ تَــرى إلاّ قــلـيــلاً
كــم مِــنْ عــزيــزٍ قــد رأيْــتَ
الــحــرصَ صــيَّــرَهُ ذلــيــلا
فَـتَـجـنَّـبِ الـشّـهـواتِ وَاحْـذرْ
أنْ تــكــونَ لــهــا فــتــيــلا
فَــلَرُبَّ شـهـوةِ سـاعـةٍ
قــدْ أورثَــتْ حُــزْنــاً طــويــلا[1]

* * *

(خليليّ ما أكفى اليسير)

ومن جيد زهديات أبي العتاهية، قوله:

طلبْتُ الغِنى في كـلّ وَجْهٍ فلم أجِدْ
سبيــلَ الـغِنـى إلاّ سبيــلَ التـعفُّفِ
خليليَّ مــا أكفى اليسيــرُ مِنَ الّــذي
نحــاولُ إنْ كُنّـا بمــا كَفى نَكْتَفي[2]

(١) نفسه ص ١٨٩ .
(٢) الديوان ص ٢٤٠ .

(وأنت الدهر لا ترضى بحال)

وقوله الآخر:

متى تُمْسي وتصبحُ مستريحاً
وأنتَ الدّهرَ لا تَرْضى بحالِ
وقد يجري قليلُ المالِ مجرى
كثيرِ المالِ في سدِّ الخِلال
إذا كانَ القليلُ يسدُّ فقري
ولم أجدِ الْكثيرَ فلا أُبالي(١)

* * *

(يا خاطب الدنيا)

ومن رائق شعر أبي العتاهية الزهدي قوله يصف الدنيا وغرورها:

يا خاطبَ الدّنيا إلى نفسها
تَنَحَّ عنْ خطبتِها تَسْلَمِ
إنّ التي تخطبُ غرّارةٌ
سريعةُ العرسِ مِنَ الْمأْتمِ(٢)

* * *

---

(١) نفسه ٣٢٦.

(٢) البيان والتبيين ٣/٤٧٦.

(سبحان ذي الملكوت)

ومنه أيضاً، قوله مستفظعاً هول الموقف وفراق الحياة:

سبحانَ ذي الملكوتِ أيّةُ ليلةٍ
مخضتْ بوجهِ صباحِ يومِ الموقفِ
لو أنَّ عيناً وهمّتْها نفيُها
ما في الفراقِ مُصَوَّراً لم تطرِف(١)

* * *

(ليس زاداً سوى التّقى)

ومن أسهل زهدياته وأبلغها دلالة، قوله:

أُذْنَ حَيٍّ تَسَمَّعي
وَاسْمعي ثمّ عِي وعي
عشْتُ تسعينَ حجّةً
ثم وافيتُ مضجعي
أنا رَهْنٌ لِمَصْرَعي
فَاحْذري مثل مَصرعي
ليسَ زاداً سِوى التّقى
فَخُذي مِنْهُ أوْدعي(٢)

(١) نفسه ٣/٤٧٦.

(٢) البيان والتبيين ٣/٤٧٨. وعي: الأمر من وعي، للمؤنث.

(آخر هذا كلّه الموت)

ومن النسق عينه، قوله:

إِسْمَعْ فقد أَسْمَعَك الصَّوْتُ
إنْ لم تُبادرْ فَهُوَ الْفَوْتُ
نَلْ كلَّ ما شِئْتَ وعِشْ سالماً
آخرُ هذا كلِّهِ الموتُ

* * *

(والتفّت الساق منه بالساق)

ومن شعره الزهدي ويبدو أثر القرآن الكريم فيه، قوله:

لَوْ أنَّ عَبْداً لهُ خزائِنُ ما في
الأرضِ ما عاشَ خَوْفَ إملاقِ
يا عَجَباً كُلُّنا يحيدُ عنِ
الحيْنِ وكلٌّ لِحينهِ لاقِ
كأنَّ حيًّا قدْ قامَ نادِبُه
والْتَفَّتِ السّاقُ منهُ بِالسّاقِ
واستلَّ منه حياتَه مَلَكُ الْموتِ
خفيّاً وقيلَ مَن راقِ

---

(١) المصدر نفسه ٣/٤٧٨.

(٢) البيان والتبيين ٣/٤٧٩. والإملاق: الفقر. والحين: المصير. والراق: اسم الفاعل من رقاه، إذا شفاه بالرّقي.

(وما الموت إلا رحلة)

ومن أروع ما قال في الموت:

وما الموتُ إلاّ رحلةٌ غيرَ أنّه
مِنَ الْمنزلِ الفاني إلى المنزلِ الباقي[1]

* * *

(ونلعب والدهر لا يلعب)

ومن رائع الشعر الزهدي قول أبي العتاهية:

أَنَلْهو وأيّامُنا تَذْهَبُ
ونلعبُ والدّهرُ لا يلعبُ
أيلهو ويلعبُ مَنْ نفسُه
تموتُ ومَنْ بيتُه يخرب
تَرى صُوَرَ اللّهوِ مسموحةً
ولكنْ لها رونقٌ مُذْهَب
سيصدُقُ مَن ماتَ في هجْرِهِ
وقد كانَ في وصلِهِ يكذبُ[2]

* * *

(١) الإعجاز والإيجاز، للثعالبي، ص ١٦١. دار صعب. بيروت.

(٢) مجلة معهد المخطوطات العربية ص ٣٠٧. ج ١. مجلد ٣٠. ١٩٨٦ م
والرونق: الصفاء والحسن والجمال.

(فعاش المريض ومات الطبيب)

ومن رائع زهده قوله:

نعى عندَ ظلٍّ الشّبابِ المشيبُ
ونادتْكَ بِاسْمٍ سواكَ الخطوبُ
فكُنْ مستعدّاً لِداعي المنونِ
فكلُّ الذي هو آتٍ قريبُ
وقبلَكَ داوى الطّبيبُ المريضَ
فعاشَ المريضُ وماتَ الطبيبُ[1]

* * *

(إنما الدنيا متاع زائل)

ومن جيد شعره الزهدي قوله:

إنّما الدُّنيا متاعٌ زائلٌ
فَاقْتَصِدْ فيه وَخُذْ منهُ وَدَعْ
عجبٌ لِلدّهرِ كمْ مِن أُمَمٍ
قد أبادَ الدهرُ والدهرُ جَذَعْ
يا أخَا الْمَيْتِ الذي شيَّعه
فحشا التّربَ عليهِ ورَجَعْ

---

(١) العقد الفريد ١/٣٢٥.

لــيـتَ شــعــري مــا تــزوّدت مِــنَ
الــزَّادِ فيــا هــذا لِيــومِ المــطَّلَعْ(١)

* * *

(ورحى المنية تطحن)

وما أبلغ هذا البيت، على سهولته، يقول أبو العتاهية:

الـنــاسُ فــي غـَـفَــلاتِــهــمْ
وَرَحــى الـمــنــيَّــةِ تــطحــنُ(٢)

* * *

محمود الوراق (ت حوالي ٢٣٠ هـ)

(وفي غنى النفس الغنى الأكبر)

ومن شعراء بني العباس الذين زهدوا في الحياة، ثم نسكوا وتابوا إلى ربهم من بعد شقوة وفساد ولهو، محمود بن حسن الوراق الذي وجد في الانقطاع إلى الله وعبادته، وفي القناعة بما قسم له من الرزق، سعادة ما بعدها سعادة. يقول الوراق مؤكداً على مبدأ القناعة والرضى بقسم الله:

مَــنْ كــانَ ذا مــالٍ كــثــيــرٍ وَلَــمْ
يَـقْنَـعْ فـذاكَ الـمـوسـرُ المـعـسِـرُ

---

(١) مجلة معهد المخطوطات العربية ص ٣٠٩. ج ١. مجلد ٣٠. ١٩٨٦ م.
(٢) العقد الفريد ١/٣٣١.

وكلُّ منْ كان قنوعاً وإنْ
كانَ مُقِلّاً فَهُوَ المكثر
الفقرُ في النّفسِ وفيها الغِنى
وفي غِنىَ النفسِ الغِنى الأكبرُ(١)

* * *

(هي الدنيا)

ويعجب الوراق للذين يؤملون الخير والفلاح في الحياة الدنيا، فتراهم منصرفين إليها، يعملون لها بما أوتوا وهم عن الآخرة غافلون، فيقول محذراً:

هِيَ الدُّنْيَا فَلا يَغْرُرْكَ مِنْها
مخايِلُ تستفِزُّ ذوي الْعقولِ
أقلُّ قليلِها يَكْفيكَ مِنها
ولكنْ ليس تصنعُ بالقليلِ
تشيدُ بها وتبني كلَّ يومٍ
وأنتَ على التّجهُّزِ والرّحيلِ
وَمَنْ هذا الذي يُبقي عليها
مضارِبَهُ بِمُدْرجَةِ السّهولِ(٢)

---

(١) العقد الفريد ٢/٢٠٧.

(٢) شعر الزهد ص ٢٣٦. والمخايل: الظنون والدلائل، جمع مخيلة، وتستفز: تثير. ومضاربه: منازله، ومكان ضربه وإقامته ورحيله.

(كأنها لا ترى ما يصنع القدر)

وينظر الوراق بعين البصيرة إلى ما تفعله الأيام بالناس، وما تتصرف به الأقدار فيخلص إلى القول الحكمي الزهدي:

لا ينفعُ الجِدُّ والتَّشميرُ والحذرُ
خُطَّ الكتابُ فلا وِرْدٌ ولا صَدَرُ
تستعجلُ النّفسُ آمالاً لتبلغها
كأنَّها لا ترى ما يصنعُ القدر[1]

* * *

(كذاك انتقال الدول)

حتى إذا ما أيقن الوراق بدنو الأجل، وفوت الأوان، وما تحدثه الأيام بصروفها قال باكياً:

بكيْتُ لِقُرْبِ الأَجَلْ
وبعد فواتِ الأَمَلْ
وواقِدِ شيبٍ طَرا
بعِقبِ شبابٍ رحل
شبابٌ كأنْ لم يكُنْ
وشَيبٌ كأنْ لم يزل

(١) شعر الزهد، ص ٢٣٩. والتشمير: النهوض والتهيؤ.

طـواكَ بـشـيـرُ الـبـقـا
وجـاء نـذيـرُ الأجـل
طـوى صـاحـبٌ صـاحـبـاً
كـذاكَ انْـتـقـالُ الـدُّوَل[1]

* * *

(يا ناظراً)

ومن رقيق شعر الوراق في الزهد، قوله محذراً من هول الذنب:

يـا نـاظـراً يـرنـو بِـعـيـنَـيْ راقـدِ
ومشـاهـداً لِـلأمـرِ غيـرَ مشـاهِـدَ
منّيْتَ نـفسَـكَ ضِـلّةً وأبـحْتهـا
طـرقَ الـرّجـاءِ وهنَّ غيـرُ قـواصـد
تصـلُ الذّنـوبَ إلى الذنـوبِ وترتجي
درْكَ الـجنـانِ بـهـا وفـوزَ العـابـد
ونـسـيـتَ أنَّ الـلّهَ أخـرجَ آدمـاً
منهـا إلى الـدنيـا بـذنبٍ واحـدِ[2]

---

(١) عيون الأخبار ٢/٣٢٦.

(٢) الكامل ١/٢٣٥. ويرنو: ينظر. وضلة: توهماً. والدرك: الإدراك والوصول.

(أليس عجيباً)

ومن جيد شعره، وهو في غاية السهولة، قوله:

أَلَيْسَ عجباً بأنَّ الْفتى
يُصابُ بِبعضِ الّذي في يديْهِ
فَمِنْ بيْنِ باكٍ لهُ موجعٍ
وبينَ مُعَزٍّ مُغِذٍّ إليه
ويسلبُه الشَّيْبُ شرْخَ الشبابِ
فليسَ يُعزِّيهِ خلقٌ عليه[1]

* * *

(فلست أول مجنون بمرزوق)

من الفقهاء الذين دعوا إلى الزهد في الحياة الدنيا، ومن أجدر بهذه الدعوة من الفقهاء، أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي صاحب المذهب الفقهي المعروف باسمه، فهو يزري على أصحاب المال جمعهم للمال في ما هم يقضون العمر، سادرين عن تقوى الله، مشغولين بجمعه وتحصيله، وفي الغالب فإن أصحابه من الجهلة ممن لا نصيب لهم من العقل

(١) البيان والتبيين ٣/٤٨٤.

أو العلم أو الخلق القويم. يقول الشافعي، وشعره يتميز بالسهولة والوضوح.

لـو كنتَ بالعقـلِ تُعطى ما تريدُ بـهِ
لمـا ظفـرْتَ مِنَ الـدُّنيـا بِمســروقِ
رُزقْتَ مـالاً على جهـلٍ فعشْتَ بـه
فـلستَ أوّلَ مـجـنـونٍ بِـمـرزوقِ[1]

* * *

(ويأبى الله إلا ما أرادا)

ويقول ثانية، في المعنى نفسه تقريباً:

يُـريـدُ الـمـرءُ أنْ يُعـطى مُـنـاهُ
ويـأبـى الـلَّهُ إلاّ مـا أرادا
يـقـولُ الـمـرءُ فـائـدتي ومـالي
وَتَقْـوى اللَّهِ أفضـلُ مـا اسْتفـادا[2]

* * *

(ولا عرفوا لمكرمة ثبوتاً)

ويقول ثالثة:

(١) ديوان الشافعي ص ٨٥. تحقيق زهدي يكن. دار الثقافة. بيروت ١٩٦١ م.

(٢) حلية الأولياء ١٥١/٩. للأصفهاني. دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٦٧ م.

وأنـطقـتِ الـدّراهمُ بعـدَ صـمْـتٍ
أنـاسـاً بعـد مـا كـانـوا سُكـوتـا
فمـا عـطفـوا على أحـدٍ بِفضـلٍ
ولا عـرفـوا لـمِكـرمُـةٍ ثبـوتـا[1]

* * *

(قنعت بالقوت من زماني)

ومن الشعر الدال على قناعة الشفاعي وزهده في الحياة الدنيا قوله:

قـنـعْـتُ بـالـقـوتِ مِـن زمـانـي
وصـنْـتُ نـفـسـي عـن الـهـوانِ
خـوفـاً مـنَ الـنـاسِ أنْ يـقـولـوا
فـضـلُ فـلانٍ عـلى فـلانِ
مَـنْ كـنْـتُ عـن مـالِـه غـنـيّـاً
فـلا أُبـالـي إذا جـفـانـي[2]

* * *

(كم ضاحك)

ومن جيد شعر الشافعي، قوله محذراً من يجعل همّه جمع

---

(١) المصدر نفسه ٩/١٤١.

(٢) الديوان ص ١٦٢.

المال، والانشغال بأمور الدنيا، دون التفكير بالآخرة، وبالموت الذي يحيط بنا جميعاً. يقول الشافعي:

كَمْ ضاحكٍ والْمنايا فوقَ هامتهِ
لو كانَ يعلمُ غيباً ماتَ مِن كَمَدِ
مَنْ كانَ لم يُؤْتَ عِلماً في بقاءِ غدٍ
ماذا تفكُّرُهُ في رِزْقِ بعدِ غدِ[١]

* * *

(وقد قسم الرحمن رزق الخلائق)

والذي عزّز روح الزهد في نفس الشافعي، هو ثقته الكاملة بالله تعالى ذكره، فهو الرازق، والمقدّر، والمفضل. يقول:

تَوكّلْتُ في رزقي على اللّهِ خالِقي
وأيقنْتُ أنَّ اللّهَ لا شكَّ رازقي
وما يكُ مِن رزقٍ فليسَ يفوتُني
ولو كانَ في قاعِ البحارِ العوامق
ففي أيِّ شيءٍ تذهبُ النفسُ حَسْرةً
وقد قسّمَ الرّحمنُ رِزقَ الخلائِق[٢]

* * *

---

(١) ديوان الشافعي ص ٨٥. والهامة: الرأس. والكمد: الغم.
(٢) نفسه ١٣٨.

(وما كل نفس به راضية)

ومن الشعر الزهدي الذي يعتمد صاحبه فيه على التوكل، والرضى بما يرزق الخالق، والاكتفاء بالقليل من متاع الدنيا، ما قاله منصور بن إسماعيل التميمي، وكان من فقهاء الشافعية بمصر. يقول منصور:

إذا قـال لـي قـائـلٌ كيـفَ أنتَ
أقـولُ لـهُ أنـا فـي عـافِـيَـةْ
لِأشيـاءَ منهـا الـرِّضـا بـالكفـافِ
ومـا كـلُّ نـفسٍ بـهِ راضِـيَـةْ[1]

* * *

(ألا إن رزق الله ليس يفوت)

وهو، أي منصور التميمي، يؤكد على ثقته الكبيرة بالله تعالى، وعلى أنه هو المكفل بالأرزاق، فلا ييأسنّ أحد من رحمته تعالى، ولا يستأثرن بمال يزيد عن حاجته. يقول منصور:

ألا إنَّ رزقَ الـلَّهِ لـيسَ يـفـوتُ
فـلا تـرعَـنْ إنَّ الـقـليـلَ يـفـوتُ

(١) بهجة المجالس، للقرطبي ٢/ ٣٠٤. دار الكتاب العربي. بيروت.

رضيتُ بقسْم اللّهِ حظّاً لأنّه
تكفَّلَ رزقي مَن له الْمَلَكُوتُ
سأقنعُ بالمالِ القَليلِ لأنّني
رأيتُ أخا المالِ الكثيرِ يموتُ(١)

* * *

(إني قنعت بقوت)

ومن أصدق الشعر المعبر عن حالة الزهد، لدى منصور التسيمي، هذا الشعر السهل الذي يصور حال صاحبه أفضل تصوير.

إني قنعْتُ بقوتٍ
ولُبْسِ ثَوْبٍ مُرَقَّعْ
ولم يكنْ لي عيالٌ
نفسي لهمْ تتفجَّعْ
ولا بنونَ صِغارٌ
قلبي لهم يتقطَّع
ولا صديق مُصافٍ
فراقَه أتوقَّعْ

(١) نفسه ٢/٣٠٤. والملكوت: الملك الواسع.

وقــد عــزفْــتُ عــنِ
الـلَّهْــوِ والـغِـنـى والـتَّـمــتُّــع(١)

* * *

(والوزر على مكتسبيه)

ويؤكد منصور التميمي المعنى نفسه فيقول، وهو من أسهل الكلام، وأبسط العبارة:

مَنْ كَفاهُ مِن مساعيهِ رغيفٌ يَغْتَذيـهِ
ولـهُ بيتٌ يُـواريـهِ وثـوبٌ يكتسيــهِ
فلما ذا يبذلُ العِرْض لِنَذْلٍ أو سفيهِ
كلُّ مالٍ منعتْهُ السّيرَ أيـدي باذليـهِ
فَهْوَ لِلوارثِ والوزْرُ على مكتسبيهِ(٢)

* * *

(فأمرك عندي عجيب عجيب)

ومن أعجب العجب في نـظر منصور التميمي، أن يـرى الإنسان أن الموت آتٍ لا بد منه، وأن الذي يذهب لا يعود، ومع ذلك فإن هذا الإنسان سادر في لهوه وغيّه. يقول منصور:

---

(١) بهجة المجالس ٢/٢١١، وعزفت: ملت وانصرفت.

(٢) المصدر نفسه ٢/٣١٤.

إذا كُنْتَ تزعمُ أنَّ الفراقَ
فراقَ الحياةِ قريبٌ قريبُ
وأنَّ المقدّمَ ما لا يفوتُ
على ما يفوتُ مصيبٌ مصيبُ
وأنتَ على ذاكَ لا تَرْعوي
فأمرُكَ عِندي عجيبٌ عجيبُ[1]

* * *

أحمد بن يوسف (ت ٢١٣ هـ)

(ما هذه الدنيا بدار إقامة)

ومن الذين دعوا إلى ترك متاع الدنيا، والتزود بالعمل الصالح، والعمل للآخرة، أحمد بن يوسف بن صبيح، وكان مولى لبني عجيل، في العصر العباسي الأول؛ ومن شعره الزهدي المتضمن لهذه المعاني قوله:

ما بعدَ شيبِكَ غيرُ لومِكَ فاتَّخِذْ
زاداً لِنَفْسِكَ فالرَّحيلُ قريبُ
ما هذِه الدنيا بِدارِ إقامةٍ
لا توطنَنَّ بها وأنتَ غريب

(١) عيون الأخبار ٢/٣٠٤.

أيـنَ الأُولى أهــل الـسيــادةِ والـنُّهـى
والـمـــطعـمــونَ ومــا تــدرُّ حَــلوب
أخـنى الــزمـــانُ عـليـهـمُ بـشـعــارِه
وسـقـتْهُمُ كــأسَ الـمنــونِ شَـعــوبُ
وغـــداً جــزاءُ ســعـــادةٍ أو شــقْــوةٍ
أفــلا يُـنيـبُ إلـى الــرَّشــادِ مُـنيـب
والمــوتُ يغتــالُ النفــوسَ ولم يــزلْ
لِـلمــوتِ داعٍ لـلنـفــوس طَـلوب(١)

* * *

الخزيمي

(لكل أناس من طوارقها الثكل)

ومن أروع شعر الزهد الداعي إلى نبذ الدنيا والعمل للآخرة، ما قاله أبو يعقوب إسحاق بن حسان، مولى بني خريم، زمن العباسيين في العصر الأول؛ يقول الخزيمي :

تَــزَوَّدْ مِنَ الـدُّنْيَــا متــاعــاً لِغيــرِهــا
فقـدْ شَمَّـرَتْ حَـذَّاءَ وَانْصـرمَ الْحَبْـلُ

(١) أخبار الشعراء، للصولي ص ١٦٩. وشعوب: اسم للمنية. وينيب: يميل ويثوب.

وهـل أنتَ إلاّ هـامــةُ اليـومِ أو غــدٍ
لكـلِّ أناسٍ مِن طـوارقِهـا الثّكـلُ[٢]

* * *

(ولكن لهذا الرزق وقت موقت)

ويقول من شعر آخر يدخل في باب الزهد عن طريق التوكل على الله تعالى، والاعتماد عليه في الرزق المقدر:

ولـكنْ لِـهــذا الــرّزقِ وقتٌ مــوقّـتٌ
يُـقَـسِّـمُــهُ بـيــنَ الْـبَـرِيَّــةِ واهــبُــهْ
فليسَ بِعجــزِ المرْءِ أخــطأه الـغنـى
ولا بـاحتيـالٍ أدركَ المـالَ كـاسبُـهْ[٣]

* * *

أبو تمام (ت ٢٣١ هـ/ ٨٤٥ م)

(وأنت غداً فيها تموت وتقبر)

ومن أروع الشعر الحكمي والزهدي معاً، ما قاله أبو تمام، واسمه حبيب بن أوس الطائي، الشاعر العباسي النابه الذكر؛

---

(١) الشعر والشعراء، لابن قتيبة ٨٥٧/٢. وشمرت: نهضت. وحذّاء: صارمة وقاطعة. وانصرم: انقطع. والهامة: طائر: أسطوري يخرج من رأس القتيل مطالباً بالثأر.

(٢) بهجة المجالس ١٤٥/١. والبرية: الخلق.

وقد غلب عليه التفكير بالحياة والموت، فخلص إلى أن العمر قصير جداً، وأن الدهر يكيد للإنسان، فلا مندوحة من العمل الصالح، فلا يستحق العمل من أجله والسعي للآخرة قبل فوات الأوان. يقول أبو تمام، وشعره من أجود الشعر، وأفصحه، وأروعه:

أَلِلْعُمْرِ في الدُّنيا تَجِدُّ وتعمرُ
وأنتَ غداً فيها تموتُ وتُقْبرُ

تلقّحُ آمالاً وترجو نِتاجَها
وعمُركَ مِمّا قد تُرَجّيهِ أَقْصَرُ

وهذا صباحُ اليومِ ينعاكَ ضوؤه
وليلتُه تنعاك إنْ كنتَ تشعر

تحومُ على إدراكِ ما قد كُفِيتَهُ
وتقبلُ بالآمالِ فيه وتُدبِر

ورزقُكَ لا يعدوك إمّا مُعَجَّلٌ
على حالِه يوماً وإمّا مؤخّر

فلا تأمنِ الدّنيا إذا هيَ أقبلتْ
عليكَ فما زالتْ تخونُ وتدبر

وشمِّرْ فقد أبدى لكَ الموتُ وجهَهُ
وليسَ يَنالُ الفوزَ إلاّ المشمّر

تـذكَّـرْ وفكِّـرْ في الـذى أنتَ صـائـرٌ
إلـيــهِ غــداً إنْ كـنـتَ مِـمَّـنْ يفـكـر
فــلا بــدَّ يــومــاً أنْ تصيــرَ لِحُفْــرَةٍ
بــأثنـائهــا تُطوى إلى يــومٍ ينشـرُ
تــطهَّـرْ وألْحِقْ ذنبَــكَ اليـومَ تــوبــةً
لـعلّكَ منــه إنْ تــطهَّــرْتَ تــطهــر
فهــذي اللّيـالي مُــؤْذِنـاتُـك بِـالْبِلى
تــروحُ وأيّــامٌ كــذاكَ تــبــكّــر
وأخـلِصْ لِـدينِ اللَّهِ صــدراً ونـيّــةً
فــإنّ الـذي تُخفيــهِ يــومــاً سيـظهـر
وقــد يستــرُ الإنســانُ بــاللّفظِ فـعلَه
فيـظهـرُ عنه الـطّرفُ مـا كـانَ يستــر
تـأمَّـلْ وفكِّـرْ في الـذي أنتَ صــائـرٌ
إليــه غــداً إنْ كنتَ مِمَّـنْ يفـكّــر(١)

* * *

(وأبقى صريعاً بين أهلي جنازةً)

ومن أروع شعر الزهد، وأجوده، وأفصحه عبارة، ما قاله أبو

---

(١) ديوان أبي تمام ص ٥٩٤. وشمّر: انهض وتهيأ. وانظر أيضاً: معادن الجواهر ونزهة الخواطر ص ٤٢٠ - ٤٢١.

تمام، وقد تصور نفسه ينازع سكرات الموت، ثم ميتاً مسكنه اللحد، حيث الوحشة وطول الثواء. يقول أبو تمام تائباً من ذنبه، نادماً على ما سوّف من عمله:

أَلَمْ يَأْنِ تركي لا عليًّ ولا لِيا
وعزمي على ما فيهِ إصلاحُ حالِيا
وقد نالَ منّي الشّيْبُ وابيضَّ مفرِقي
وغالتْ سوادي شُهْبُهُ في قذالِيا
أصوّت بالدّنيا وليستْ تُجيبُني
أحاولُ أنْ أبقى وكيفَ بقائيا
وأبقى صريعاً بينَ أهلي جِنازةً
ويحوي ذَوُو الميراثِ خالصَ ماليا
أقولُ لِنفسي حينَ مالتْ بِصفوِها
إلى خطراتٍ قد نتجْنَ أمانيا
هبيني مِنَ الدُّنيا ظفرْتُ بِكلِّ ما
تمنّيتُ أو أُعطيتُ فوقَ أمانيا
أليسَ الليالي غاصباتي بِمهجتي
كما غصبتْ قبلي القرون الخواليا
ومُسْكِنَتي لحداً لدى حفرةٍ بها
يطولُ إلى أخرى الليالي ثوائيا

أخـــافُ إلا هـي ثـمَّ أرجـو نــوالَــهُ
ولـكنَّ خــوفـي قــاهــرٌ لِـرَجــائيــا
على إثْـرِ مـا قــد كـانَ منّي صبــابـةً
لـيــاليَ فـيهــا كـنتُ لِـلَّهِ عــاصيــا
فــإنّـي جــديــرٌ أنْ أخــافَ وأتّـقــي
وإنْ كنتُ لم أُشركْ بِذي العرش ثانيـا
وأدّخــر التقــوى بمجـهــودِ طــاقتـي
وأركب في رُشْـدي خِلافَ هـوائيـا(١)

* * *

ابن الرومي (ت ٢٨٣ هـ/ ٨٩٦ م)

(تتجافى جنوبهم)

ومن جيد شعر الزهد، ما قاله أبو الحسن علي بن العباس، الشـاعر العبـاسي، والمعروف بـابن الرومي. وشعـره يتميـز بالسهولة وغلبة نزعة المنطق عليه، وهذا ما نلاحظه في أبياته الزهدية التالية التي يصور بها حالات العابدين الزاهدين:

(١) ديوان أبي تمام ص ٥٩٦. شرح التبريزي. دار المعارف ١٩٦٥ م. ويأن: يحن. وغالت: صرعت. وشهبه، كناية عن الشيب، والقذال: ما بين الرأس وأصل العنق. واللحد: جانب القبر. والصبابة: الهوى والميل.

تـتـجـافـى جُـنـوبُـهُـمْ
عـنْ وطـيءِ الْـمـضـاجـعِ
كُـلُّهُـمْ بـيـنَ خـائـفٍ
مـسـتـجـيـرٍ وطـامـعِ
تـركـوا لـذَّةَ الْـكَـرى
لِـلعـيـونِ الـهـواجـعِ
ورعَـوْا أنـجـمَ الـدُّجـى
طـالـعـاً بـعـدَ طـالـعِ
لـو تـراهـمْ إذا هـمُ
خـطـروا بـالأصـابـعِ
وإذا هُـمْ تـأوّهـوا
عـنـدَ مـرِّ الـقـوارعِ
وإذا بـاشـروا الـثّـرى
بـالـخـدودِ الـضّـوارعِ
واسـتـهـلّتْ عـيـونُـهـم
فـائـضـاتِ الـمـدامـعِ (1)

(1) ديوان ابن الرومي ٤/ ١١٩ . دار صادر بيروت ١٩٦٥ م وتتجافى : تتجنب . والمضاجع: أمكنة النوم والإضطجاع. ومستجير: لائذ. طالب من يجيره. والكرى: النوم. والهواجع: جمع هاجعة، وهي النائمة. والقوارع: الشدائد، جمع قارعة، وهي يوم القيامة. واستهلت: ابتدرت، وسكبت.

(حتى متى نشتري الدنيا بآخرة)

وله من جيد الشعر، وهو يفيض حكمة وموعظة وزهداً، قوله:

حتّى متى نَشْتري الدُّنيا بِآخِرةٍ
سفاهةً ونبيعُ الْفَوْقَ بِالدُّونِ
معلّلينَ بآمالٍ تخادِعُنا
وَزُخْرفٍ مِن غرورِ العيشِ موصونِ[1]

* * *

(فهل أنت عن غيّة مرتدع)

واستحسن من ابن الرومي قوله الزهدي:

ألا ليسَ شيبُكَ بِالْمُنْتَزَعْ
فهلْ أنتَ عنْ غَيَّةٍ مرتدِعْ
وهلْ أنتَ تاركُ شكوى الزمانِ
إذا شئتَ تشكو إلى مستمعْ
فشيْبُ أخي الشّيبِ أمنيّةٌ
إذا ما تناهى إليها هَلَعْ[2]

* * *

(١) شعر الزهد ص ٣٠٦.
(٢) رسالة الغفران، ص ٣٦.

(رضيت بدون الكفاية قوتاً)

ومن الذين عزفوا عن الدنيا، وانقطعوا إلى العبادة والتهجد، أبو عقال بن علوان الذي ترك شعراً في الزهد يتميز بالبساطة والعفوية والسهولة، يقول ابن علوان مؤكداً ما قلناه:

أَجِبْ داعِيَ اللَّهِ لا تعصهِ
فقد جادَ بالنّصح جهراً ونادى
ولا تلْهَ بالموبقاتِ التي
أبادتْ بوائقُها مَن تمادَى
رضيتُ بِدونِ الكفايةِ قوتاً
وبِاللَّهِ عنْ كلِّ خَلْقٍ عِمادا
فأضحى الملوكُ وأهلُ النّعيمِ
أقلَّ الْبَرِيَّةِ عندي عِدادا
وأسقطْتُ لومي عنِ الْعالمينَ
فَمَنْ شاءَ ودَّ وَمن شاءَ عادى
فلم أرَ عيشاً كعيشِ القنوعِ
ولم أرَ مثلَ القنوعِ مُرادا(١)

---

(١) رياض النفوس ١/٤٢٨. والبوائق: أحداثها ونكباتها.

(لعمرك ما الدنيا بشَيء أريده)

وما أحسن ذمّه الدنيا ووصفه لها، إذ يقول:

لَعَمْرُكَ ما الدّنيا بشيءٍ أُريدُهُ
سوى أنَّها نزْلٌ وأنّي مسافرُ
إذا أقبلَتْ يوماً عليَّ بِوُدِّها
فإنّي بما تُوليه بالبرِّ كافرُ[1]

* * *

بكر بن حمّاد (ت ٢٩٦ هـ)

(كأنك قد أمنت من المعاد)

ومن جيد شعر الزهد، وأرقه، وأصدقه، ما خاطب به بكر بن حماد الزناتي، من تاهرت بالجزائر، نفسه. يقول بكر متأسياً بأخبار الماضين الذين لم تدم لهم الحياة:

نهارٌ مشرقٌ وظلامُ ليلٍ
أَلَحّا بِالْبياضِ وبِالسَّوادِ
هُما هَدَما دَعائمَ عُمْرِ نوحٍ
ولقمانٍ وشدّادٍ وعاد
فيا بكرَ بنَ حمّادٍ تعجّبْ
لِقومٍ سافروا مِن غيرِ زاد

---

(١) المصدر نفسه ١/٤٣٧.

تبيتُ على فراشِكَ مطمئّناً
كأنّكَ قد أَمِنْتَ مِنَ الْمعادِ(1)

* * *

(فصفوها لك ممزوج بتكدير)

ومن شعر بكر بن حماد الزهدي الذي يصور فيه حرص الناس على الحياة الدنيا، وقد فاتهم أن الرزق مقدر، وليس للإنسان إلا ما هو في ظهر الغيب، قوله:

النّاسُ حرصٌ على الدّنيا وقد فسدتْ
فَصَفْوهَا لكَ ممزوجٌ بِتكديرِ
فَمِنْ مُكِبٍّ عليها لا تساعدُه
وعاجزٍ نالَ دنياهُ بِتقصير
لم يدركوها بعقلٍ عندما قسمتْ
وإنما أدركوها بالمقادير
لو كانَ عنْ قدرٍ أو عنْ مغالبةٍ
طارَ البُزاةُ بأرزاقِ العصافيرِ(2)

* * *

(1) شعر الزهد ص ١١٧. وعاد وشداد، من أشداء العرب الأقدمين. ولقمان، هو لقمان بن عادياء، الحكيم العربي القديم.
(2) بهجة المجالس ١/١٤٣. والبزاة، جمع بازٍ، وهو من الطيور الكاسرة.

(فقولوا له يزداد في الطول والعرض)

وللتأكيد على ما ذهب عليه بكر في قوله السابق، يقول:

تبـــاركَ مَــنْ ســاسَ الأمــورَ عـبــاده
وذلَّ لــهُ أهــلُ الـسمٰــواتِ والأرضِ
ومــن قَــسَّــمَ الأرزاقَ بـيــنَ عـبــادهِ
وفضَّلَ بعضَ الناسِ فيها على بعضِ
فمنْ ظنَّ أنَّ الحــرصَ فيهـا يـــزيـدُه
فقولوا له يزدادُ في الطّولِ والعرضِ[1]

* * *

بعضهم

(والدهر ذو فنون)

ومن بليغ القول في الزهد والتأسي بأخبار الماضين قول بعضهم:

مــا لــذّة الـعيش والـفتـى للدهر والدهــر ذو فنون
أهـلك لسماً وقـبل طـسماً أهـلك عــاداً وذا جدون
وأهـــل جــاســم ومــأرب وحـــيّ لقمان والنّقـون
والـيـسر لـلعـسر والغـنـى لـلفقر والـحيّ للمنون[2]

* * *

(١) العقد الفريد ٣/٢٠٧.

(٢) البيان والتبيين ١/١٠٠. وطسم وعاد من الأمم والقبائل الغابرة. وذا حدون، من ملوك اليمن.

(أترضى بسبق المتقين إلى الله)

ومن الـذين لهوا في حيـاتهم، وأسرفـوا كثيراً في البـذخ والترف والمجون، الخليفة العباسي الذي ولي الخلافة يومـاً وليلة، ثم خلع، فقتل، عبد الله بن المعتز، الشاعر المتفنن، والعالم بالبديع.

عبد الله بن المعتز، هذا، ترك شعراً في الزهـد والحكمة والتوبة، وهو على جانب كبير من الجودة والفصاحة وحـرارة العاطفة، وصدق الوجدان. يقول ابن المعتز:

إلى أيِّ حينٍ كنْتَ في صَبْـوَةِ اللاّهي
أمـا لَـكَ في شيءٍ وُعِـظْتَ بـهِ نـاهي
ويـا مـذنبـاً يـرجـو مِنَ اللَّهِ عَفْـوَهُ
أتَـرْضى بِسبقِ المتّـقيـنَ إلى الـلَّهِ(٢)

* * *

(فعمرك أيام تعدّ قلائل)

ويقول، من بوح وجداني صادق، وشعر رائق، ونلمس فيه التوبة والندامة والحسرة:

---

(١) الديوان ص ٤٥٣. دار بيروت ١٩٦١ م.

نَسيرُ إلى الآجالِ في كلِّ ساعةٍ
فأيّامُنا تُطْوى وهُنَّ مراحِلُ
ولمْ أرَ مثلَ الموتِ حتى كأنَّهُ
إذا ما تَخَطَّتْهُ الأمانيُّ باطل
وما أقبحَ التّفريطَ في زمنِ الصِّبا
فكيفَ بهِ والشّيبُ في الرّأسِ شاعل
ترحَّلْ مِنَ الدُّنيا بِزادٍ مِنَ التُّقى
فَعُمْرُكَ أيّامٌ تُعَدُّ قلائِل[1]

* * *

(والعمر في لا شيء يذهب)

ومن جيد شعره الزهدي المعبر، ويتميز بالسهولة، قوله:

جَدَّ الزّمانُ وأنتَ تلعبْ
والعمرُ في لا شيءَ يذهبْ
كم قد تقولُ غداً أتوبُ
غداً غداً والموتُ يُقربْ[2]

* * *

(١) المستظرف من كل فن مستطرف ص٣١٣. دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٣م.
(٢) الديوان ص ٩٨.

(فليس يخطيء ما قد قدر الله)

ومن شعره الزهدي الرائع قوله:

مُسَهَّدٌ في ظلامِ اللّيلِ أوّاهُ
عَضَّتْهُ لِلدّهْرِ أنيابٌ وأفواهُ
إنْ كانَ يُخطيءُ سمعي ما أُقَدِّرُه
فليسَ يُخطِيءُ ما قدْ قَدَّرَ اللَّهُ[1]

* * *

الألبيري (ت ٣١٢ هـ)

(وذي غنى)

ومن الذين دعوا إلى العزوف عن الغنى، وجمع المال، والاكتفاء بالقليل من الزاد، أبو جعفر أحمد بن عمرو، الأندلسي، المعروف بالألبيري، وكان محدثاً ومتفقهاً. يقول في هذا المعنى، مؤكداً على أن لا شيء يدوم أو يبقى على حاله:

وَذِي غِنى أوْ هَمَتْهُ هِمَّتُهُ
أنَّ لِغنى عنهُ غيرُ منفصلِ

(١) الأغاني ١٤١/٩.

فَـجَـرَّ أذيــالَ عُــجْـبِـهِ بَـطراً
وَاخْـتـــال لِـلكـبــريــاءِ فــي حُــلَل
بــرَتْــهُ أيــدي الــخـطوبِ بَـرْيَـةً
فَـاعْتـاضَ بعـدَ الجـديـدِ بـالسَّمـلِ
كـفى بِـنَيْـلِ الـكفـافِ مـنـه غنـىً
عنــهُ فكـنْ منــهُ غـيـرَ محـتفـلِ[1]

* * *

(يا عامر الدنيا)

ومن جيد شعره الزهدي، قوله:

يـا عــامـرَ الـدّنيـا لِتَسْكُنَهـا ومـا
هـي بــالّتـي يَـبقـى لـهـا سُكّـانُ
تـغنـى وتـبـقـى الأرضْ بـعــدَكَ مـا
يبقـى المنــاخُ وتـرحـلُ الـرُّكبـانُ
أأسَـرُّ في الـدُّنيـا بـكـلِّ زيـارةٍ
وزيـارتـي فيـهـا هي الـنُّقـصانُ[2]

* * *

سريح بن يوسف (ت ٢٣٥ هـ)

(فالله يرزق لا عقل ولا حسب)

ومن الذين دعوا إلى الزهد في الحياة الدنيـا، وإلى عدم

(١) شعر الزهد ص ٩٧. والسمل: البالي.
(٢) المرجع نفسه ص ١١٧.

السعي وراء الرزق. بالكد، والكدح، سريح بن يوسف بن إبراهيم البغدادي، وكان من المحدثين. يقول سريج:

يـا طالبَ الـرِّزقِ في الآفـاقِ مجتهـداً
أبقيْتَ نفسَـكَ حتى شَفَّـكَ التَّعَبُ
تَسعى لِـرزقٍ كفـاكَ اللّهُ مُـؤْنَتَـهُ
أقصِرْ فـرزقُـكَ لا يـأتي بـهِ الطَّلَب
فَـاسْتَـرْزِقِ اللَّهَ ممّـا في خـزائِنِـهِ
فـاللَّهُ يـرزقُ لا عقـلٌ ولا حَسَبُ[1]

* * *

ابن بسام (ت ٣٠٣ هـ)

(والناس بعد الحادثات سماع)

ومن أرق شعر الزهد، وأصوبه ما قاله علي بن محمد بن منصور، الأندلسي، والمعروف بابن بسام إذ هو راعه الشيب، فندم على ما فاته، وقال تائباً نادماً:

أقصـرْتُ عنْ طلبِ البطالـةِ والصِّبـا
لـمـا عـلاني لِلمشـيبِ قِـنـاعُ

(١) بهجة المجالس ١/ ١٤٠. وشفك: أسقمك. والمؤنة: القوت وما يدّخر منه.

فدعِ الصِّبا يا قلبُ وَاسْلُ عن الْهوى
ما منكَ بعدَ مشيبِكَ اسْتِمْتاعُ
وانْظُرْ إلى الدنيا بعينِ مودِّعٍ
فلقددنا سفرٌ وحانَ وداع
والحادثاتُ موكّلاتٌ بِالْفتى
والناسُ بعدَ الحادثاتِ سماعُ[1]

* * *

ابن عبد ربه (ت ٣٢٨ هـ)

(وكان مني الموت قيد يد)

ومن الذين تابوا إلى ربهم، وندموا على ما قصروا به في جنب الله، ثم راحوا يتصورون أنفسهم وقد تخطفهم الموت، أحمد بن محمد بن عبد ربه، الأندلسي، وصاحب «العقد الفريد» إذ يقول من الشعر الزهدي:

مَنْ لي إذا جُدْتُ بينَ الأهلِ والولَدِ
وكان مِنّي نحو المَوتِ قيدُ يدِ
والدّمعُ يهملُ والأنفاسُ صاعدةٌ
فالدمعُ في صَبَبٍ والنفسُ في صعُدِ

---

(١) شعر الزهد ص ٢٦٠ .

ذاك القضاءُ الذي لا شيء يَصرِفُهُ
حتى يفرِّق بينَ الرّوحِ والجَسدِ(١)

* * *

(لا بد لله من إنجاز ما وعدا)

ويقول ثانية، تائباً نادماً:

بادِرْ إلى التَّوْبَةِ الخلصاءِ مجتهداً
والموتُ وَيْحَكَ لم يمددْ إليكَ يدا
وَارْقُبْ مِنَ اللَّهِ وعداً ليسَ مُخْلِفُهُ
لا بدَ لِلَّهِ مِن إنجازِ ما وَعَدا(٢)

* * *

(إذا اخضر منها جانب جفّ جانب)

ويقول ابن عبد ربه ذاما الدنيا، ثالثة:

ألا إنّما الدنيا نضارةُ أيْكَةٍ
إذا اخْضَرَّ منها جانبٌ جَفَّ جانبُ
هي الدّارُ ما الآمالُ إلاّ فجائعٌ
عليها ولا اللّذّاتُ إلاّ مصائب

---

(١) العقد الفريد ١/٣٢٤.

(٢) المصدر نفسه ١/٣١٩. والخلصاء: الخالصة والنصوح. يخلفه: يؤجله وينقضه.

فــلا تكتحِــلُ عينــاكَ فيهــا بِعَبْــرَةٍ
على ذاهبٍ منهــا فــإنّــكَ ذاهــب[١]

* * *

(فإن الحزن عاقبة السرور)

ومن أرق شعره الزهدي، وأصدقه لوعة ولهجة، قوله مخاطباً نفسه وقد تصورها ما تزال عاكفة على اللهو والفجور:

أتــلهــو بــيــنَ بــاطــيــةٍ وزيــرِ
وأنــتَ مِـنَ الْـهــلاكِ عـلى شَــفـيــرِ
فــيــا مَــنْ غَــرَّةُ أمــلٌ طــويــلٌ
يُــؤَدِّيــهِ إلــى أجــلٍ قــصــيــر
أتــفــرحُ والــمــنــيّــةُ كــلَّ يــومٍ
تُــريــكَ مكــانَ قبــرِكَ في القبــورِ
هي الــدنيــا فــإنْ سَــرَّتْــكَ يــومــاً
فــإنَّ الــحــزنَ عــاقبــةُ الــسّــرورِ
ستسلب كــلَّ مــا جَمَّــعْتَ منـهــا
كــعــاريــةٍ تُــرَدُّ إلــى الــمــعــيــر
وتــعــتــاضُ الــيقــيــنَ مِــنَ الــتَّــظَنّــي
ودار الــحــقِّ مِــن دارِ الــغــرور[٢]

---

(١) العقد الفريد ٣١٢/١. والأيكة، واحدة الأيك، الشجر المعروف. والعبرة: الدمعة.

(٢) المصدر نفسه ٣٢٤/١. والباطية: زجاجة الخمر. والزير: وتر العود.

(طويت زماني برهة وطواني)

ومن جيد شعره الزهدي وقد أشرف على الموت، يقول ابن عبد ربه:

كِلانِي لِما بي عاذِلَيَّ كَفاني
طويْتُ زماني برهةً وطواني
بليتُ وأبليْتُ اللّيالي مُكْرَهاً
وَصَرْفانِ لِلأيّامِ مُعْتَوِراني
ومالِيَ لا أَبْلى لِسبعينَ حجَّةً
وعشرٍ أَتَتْ مِن بعدِها سَنَتان
وإنّي بِعونِ اللَّهِ راجٍ لِفضلِهِ
ولي مِن ضمانِ اللَّهِ خيرُ ضمان
ولستُ أُبالي مِن تباريحِ علّتي
إذا كانَ عقلي باقياً ولِساني(١)

* * *

(يا ربِّ غفرانك)

ومن قول ابن عبد ربه في التوبة والزهد والاعتراف بالذنب:

يا وَيْلَنا مِن موقفٍ ما بهِ
أخوفُ مِنْ أنْ يعدلُ الحاكمُ

---

(١) تاريخ الآداب العربية ٢/١٣٤. والصرفان: الليل والنهار. واعتوراني: تداولاني والتباريح: الآلام. وكلاني: أتركاني.

أبـا رزُ الـلَّهَ بِـعـصـيـانِـه

ولـيسَ لـي مـن دونِـه راحـمُ

يـا ربِّ غُـفْـرانَـكَ عـن مـذنـبٍ

أسـرفَ إلاَّ أنَّـه نـادمُ(١)

* * *

ابن أبي الدنيا (ت ٢٨١ هـ/ ٨٩٤ م)

ومن الشعر الزهدي القائم على أساس روح التوكل في الرزق على الله يقول عبد الله بن محمد، المعروف بابن أبي الدنيا:

ومَـنْ ظنَّ أن الـرزق يـأتي بحيـلة

فـقـد كـذّبـتْـهُ نـفـسُـهُ وهـو آثِـم

يَفـوتُ الغِنى من لا يَنـامُ عن السّرى

وآخـرُ يـأتـي رزقَـهُ وهـو نـائِـم

سـأَصْبِـرُ إن دهـرٌ أنـاخَ بكـلكـلٍ

وأرضَى بحكمِ اللَّهِ فـاللَّهُ حـاكم(٢)

* * *

(١) العقد الفريد ١/٣١٨.

(٢) بهجة المجالس ١/١٣٨.

البحتري (ت ٢٨٤ هـ/ ٨٩٧ م)

(ولا مزرٍ بحظّي تأخّري)

ومن أشعار الزهد والقناعة التي طلع بها علينا أبو عبادة البحتري، قوله:

قنعْتُ وجانبْتُ المطالعَ لابساً
لباسَ محبٍّ لِلنّزاهةِ مُؤْثرِ
وآنسني علمي بأنْ لا تقدُّمي
مفيدي ولا مُزْرٍ بحظّي تأخُّري
ولوْ فاتني المقدورُ مِمّا أريدُه
بِسَعْيٍ لأدركْتُ الّذي لم يُقدَّرِ[1]

* * *

بشر الحافي (ت ٢٢٠ هـ)

(فاستغنِ بالله)

من أشهر الزهاد الأتقياء، والصلحاء النجباء أبو نصر بشر بن الحارث الحافي، المروزي الأصل، البغدادي النشأة، وشعره يتضمن آراء وأفكاراً تدعو إلى الاستغناء بالله، والاكتفاء بالقليل

(١) معادن الجواهر ونزهة الخواطر ص ٤١٤.

القليل من المتاع، فإن متاع الدنيا قليل في الآخرة. يقول بشر مزهّداً:

أَقْسَمْتُ بِاللَّهِ لَرَضْخُ النَّوى
وشربْ ماءِ الأَعيُنِ المالحَةْ
أعزُّ لِلإنسانِ مِن حرصِهِ
ومِن سؤالِ الأوجهِ الكالحةْ
فَاسْتغْنِ باللَّهِ تكنْ ذا غِنى
مغتبطاً بالصَّفْقَةِ الرّابِحة
منْ كانتِ الدُّنيا بهِ بَرَّةً
فإنّها يوماً لهُ ذابحة[1]

* * *

(فلست أسلك إلا أوضح الطرق)

ويقول مؤكداً على وجوب الأخذ بالقناعة والكفاف:

قالوا قنعْتَ بِذا قلتُ القنوعُ غِنى
ليسَ الْغِنى كثرةَ الأموالِ والْوَرِقِ
رضيتُ باللَّهِ في عُسْري وفي يُسري
فلستُ أسلكُ إلاّ أوضحَ الطُّرُقِ[2]

---

(١) تهذيب ابن عساكر ٢٣٧/٣. ورضح: كسر ودقّ. والكالحة: العابسة. وبرّة: وفيه.

(٢) شعر الزهد، ص ١٠٠.

(ولا عز أعز من القناعة)

وفي المعنى ذاته يقول بشر:

أفادتْني القناعةُ أيَّ عِزٍّ
ولا عزٌّ أعزُّ مِنَ الْقناعَةْ
فَخُذْ منها لِنفسِكَ رأسَ مالٍ
وصَيِّرْ بعدَها التّقوى بضاعَةْ[1]

ومن أجود شعر بشر في الزهد قوله:

ومِن عجبِ الدّنيا تُبَقّيكَ لِلْبلى
وأنكَ فيها لِلبقاءِ مريدُ
وأيُّ بني الأيامِ إلّا وعنده
مِنَ الدهرِ ذنبٌ طارفٌ وتليدُ
ومَنْ يأمنِ الأيامَ أما اتّساعها
فخطرٌ وأما فجعُها فعتيد
إذا اعتادتِ النفسُ الرّضاعَ عنِ الهوى
فإنَّ فطامَ النفسِ عنه شديدُ[2]

* * *

---

(١) نفسه ص ١٠١.

(٢) الأغاني ١٢/١٣٩.

تـخـلّيْـتُ عـنْ دنـيـايَ إلّا ثـلاثـةً
دفـاتـرَ مِن علمٍ وبـيتـاً ومـسْجِـدا
غنِيتُ بهـا عنْ كـلِّ شيءٍ حـويْتُـهُ
وكـنتُ بـهـا أغنـي وأقنى وأسْـعـدا
وكم قـدْ رأيْنـا مِن عـزيـزٍ مشـرّفٍ
يبيتُ مُقِـراً بـالـضّـلالـةِ مُجْـهَـدا
فَجَتْـهُ الْمنـايـا وهْـو في حينِ غَفْلَةٍ
فَـأَضْحى ذليلاً في التّـرابِ مُوَسَّـدا[1]

* * *

(وحبّست نفسي بين بيتي ومسجدي)

ولعل في هذين البيتين التاليين ما يؤكد المعنى السابق خير تأكيد، فيقول:

وأصبحْتُ في ما كنتُ أبغي مِنَ الْغِنى
إلى الـزُّهدِ في الـدُّنيا الـدَّنِيّةِ أحْـوَجـا
وحَبَّسْتُ نفسي بينَ بيتي ومسـجِـدي
وقد صرْتُ مثلَ النَّسْرِ أهوى التعرّجا[2]

---

(١) نفسه ٩٥. وفجته: أصلهـا: فجأتـه، بحذف الهمـز. وأقنى: أكثر قنيـة وغنى.
(٢) نفسه ص ٩٦.

(فليس بما لك منه نقيرا)

وزيادة في التأكيد على الزهد بالحياة، يورد الشاعر قوله:

وكَمْ مِنْ طَالِبٍ لِلمالِ يَسْعى
ويركَبُ في مطالبِهِ البُحورا
فعادَ يودُّ أنْ لوْ كانَ أمسى
فليسَ بِمالِكٍ منهُ نقيرا[1]

* * *

كشاجم (ت ٣٥٠ هـ/ ٩٦١ م)

(والنار قد يطفئها النافخ)

ومن ألطف معاني الزهد، ما قاله كشاجم، وهو لقبه، واسمه أبو الفتح محمود بن الحسين الكاتب، أحد أبرع شعراء الوصف في العصر العباسي الثاني. يقول كشاجم:

ومستزيد في طِلابِ الْغِنى
يجمعُ لَحْماً ما لَهُ طابخُ
ضيّعَ أموالاً بما يرتجي
والنّارُ قد يُطْفِئُها النّافِخُ[2]

---

(١) نفسه ص ٩٦. والنقير: نكتة صغيرة في النواة، وهي كناية عن أحقر الأشياء.

(٢) محاضرات الأدباء ٢/ ٥١٩.

حرب بن المنذر

(فما سؤلنا إلاّ المودة من أجر)

ومن الشعر الزهدي ما قاله حرب بن المنذر بن الجارود، وهو التالي:

فَحَسْبي مِنَ الدُّنيا كفافٌ يُقيمُني
وأثوابُ كتّانٍ أزورُ بها قَبْري
وحُبّي ذَوِي قُرْبى النبيِّ محمَّدٍ
فما سُؤْلُنا إلاّ المودّةُ مِنْ أجرِ[1]

* * *

بعضهم

(واحسرتي)

ومن أرق شعر الزهد وأبلغه قول بعضهم:

واحسرتي في يوم يجمعُ شرّتي كَفَنٌ وَلَحدُ
ضيّعتُ ما لا بُدّ منه بالذي لي منهُ بُدُّ[2]

* * *

(١) البيان والتبيين ٥٥٣/٣. والبيت الثاني مصداق للآية الكريمة: «قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى».
(٢) رسالة الغفران ص ٤١. والشرّة: الحدّة.

(ففيم التزاحم في المركز)

ومن نادر الشعر الزهدي، وألطفه إشارة، وأعمقه معنى، ما قاله الفيلسوف الإسلامي أبو النصر محمد بن طرخان الفارابي، ويظهر فيه أثر الرياضة والفلسفة واضحاً. يقول الفارابي:

أخـي خَـلِّ حَـيِّزَ ذي بـاطـلٍ
وكُـنْ لِـلحـقـائـقِ فـي حَـيِّـز
فـمـا الـدّارُ دار خـلودٍ لَـنـا
ولا المـرءُ في الأرضِ بِـالْمُعْجِـز
وهـل نـحـنُ إلّا خـطوطٌ وقـعْـنَ
عـلى كُـرَةٍ وَقْـعَ مـسـتـوفـزِ
يـنـافسُ هـذا لِـذاكَ عـلى
أقـلَّ مِـنَ الـكَـلِم الـمـوجـزِ
مـحيطُ الـسـمـواتِ أَوْلـى بِـنـا
فـفيـمَ الـتّـزاحـمُ في الـمـركَـزِ[1]

* * *

(١) عيون الأنباء، لابن أبي أصيبعة ص ٦٠٨. والحيز: المكان. والمستوفز: المتهيء للقيام.

(مهلاً فما اللذات إلا خدع)

ومن ألطف أشعار الزهد والوعظ، ما قاله أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، وهو المشهور في مباحث الفقه والتفسير والأدب، يقول أبو الفرج واعظاً:

يا نادباً أطلالَ كلِّ نادي
وباكياً في إثْرِ كلِّ حادي
مستلَبَ القلبِ بِحُبِّ غادةٍ
غدتْ فإنَّ البيْنَ بِالفؤادِ
مهلاً فما اللّذّاتُ إلاّ خُدَعٌ
كأنَّها طيفُ خيالٍ غادي[1]

* * *

(يا ساكن الدنيا تأهب)

ومن أفضل شعره الزهدي، قوله:

يا ساكن الدّنيا تأهَّبْ
وَانْتظرْ يومَ الفراقِ

(١) الذيل على طبقات الحنابلة، لابن رجب ١/٤٢٥. القاهرة ١٩٥٢ م
والبين: الفراق. والغادي: السائر صبحاً.

وأعـدَّ زاداً لـلرّحـيـلِ

فـسـوفَ يُـحـدى بـالـرّفـاقِ

وَابْـكِ الـرّبـوعَ بـأدمـعٍ

تـنـهـلُّ مِـنْ سُـحُـبِ الأمـاقِ

يـا مَـنْ أضـاعَ زمـانَـهُ

أرضِيتَ مـا يَـفـنـى بِـبـاقِ(١)

* * *

ابن أبي زندقة (ت ٥٢٠ هـ/ ١١٢٦ م)

(إنها ليست لحيّ وطنا)

ومن الشعر الذي يعبر فيه أبو بكر محمد الطرطوشي، المعروف بابن أبي زندقة الأندلسي، عن زهده بالحياة الدنيا، والدعوة إلى العمل الصالح، قوله، وهو يتميز بالسهولة:

إنَّ لِـلَّهِ عـبـاداً فُـطُـنـاً

طَلَّقـوا الـدُّنـيـا وخـافـوا الفِتنَـا

فَـكَّـروا فـيـهـا فـلمّـا عـلمـوا

أنّـهـا لـيـسـتْ لِـحَـيّ وطـنـا

---

(١) مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، لسبط بن الجوزي ١/ ٤٤. مخطوطة الأزهر رقم ٦٧٦٥. ويحدى: يغنّي لهم حداء. والأماق: محاجر العيون. جمع مؤقة.

جـعـلوهـا لُـجّـةً واتّـخـذوا
صـالـحَ الأعمـالِ فيهـا سُفُنـا[1]

* * *

ابن جبير (ت ٦١٤ هـ/ ١٢١٧ م)

(فما يقبل اليوم منك اعتذار)

ومن الشعـر الذي ينـدرج فـي دائرة الـزهد، أو مـا يشبه الزهد، ما قاله الرحالة الأندلسي الشهير، محمد بن أحمد بن جبير:

خـلقْـتَ الـعـذارَ بِشيْـبِ الـعـذارِ
فمـا يُقـبـلُ اليـومَ مـنـكَ اعتـذارْ
وقــالــوا الـمـشيـبُ وقــارُ الـفـتـى
وهــذا الـمـشيـبُ فـأيـنَ الـوقـار
جــلا صبحُـه عنـكَ ليـلَ الشّبـابِ
فـشـمـسُـكَ مُـؤْذِنَـةٌ بِـاصْـفِـرار
أراكَ صـحـبْـتَ حـيـاةَ الـغـرورِ
وتـسـحـبُ جـهـلاً ذيـولَ اغْـتـرار
ألـسـتَ تـرى كـدراً صـفـوَهـا
ونجمـكَ قـد مـالَ يـبغـي انْكـدار

(١) تاريخ الآداب العربية ٢/ ١٦٩. وفطن: أذكياء واللجّة: معظم الماء.

وكـيـف تـنـامُ عـلى غـرَّةٍ
وسيفُ المنيَّـةِ مـاضي الـغِـرار
فـلو كـنتَ تـحـذرُ صـرفَ الـرَّدى
إذاً لَـنَفى الـنَّومَ عـنكَ الـجِـذار
عـبـرتَ مـراحـلَ عـمـرِ الأَشـدِّ
ولستَ أرى لـكَ فـيهـا اعـتبـار
وجـرتَ بـهـا عن طـريقِ الـهـدى
ضـلاةً وتـعـدو عـلى أنْ تُـجـار
أتـاكَ الـرَّحـيـلُ فـشـمِّـرْ لـهُ
فـإمّـا إلـى جَـنَّـةٍ أو لِـنـار
وكـيـف تـقـرُّ بِـدنيـاكَ عـيـنـاً
ولـم تـدرِ أينَ يـكـونُ الـقـرار[1]

* * *

(وما الدنيا لساكنها بدار)

ولابن جبير، هذان البيتان الرائعان من الشعر الزهدي:

أراكَ مِـنَ الْـحـيـاةِ عـلى اغـتـرارِ
ومـالـكَ بـالإنـابـةِ مِـن بـدارِ

---

(١) مجلة معهد المخطوطات العربية ص ٢١٢. ج ١. مجلد ٢٩. ١٩٨٥ م.
والعذار: جانب اللحية. وخلع عذاره: إبهمك في الغيّ، والغرة: الغفلة.
والغرار: القالب يضرب عليه النّصال.

وتــطمــعُ فــي البـقــاءِ وكيـفَ تبـقى
ومــا الــدّنـيــا لِســاكِـنهــا بِــدارِ[1]

* * *

(وما يرجى لتوبته قبول)

وله أيضاً:

يُـنـيــلُ الــمــرءَ تـبــصــرةً وذكــرى
إذا مــا ابْـيـضَّ فَــوْداه وشــابــا
ومــا يُــرجـى لِــتــوبــتــهِ قــبــولٌ
إذا مــزجَ الــرِّيــاءَ بـهــا وتــابــا[2]

* * *

ابن مطروح (ت ٦٤٩ هـ/ ١٢٥١ م)

(فأنت يا مولاي أولى به)

من نـادر شعر الـزهد في الحيـاة، والتـوبـة من الـذنب، والتضرع إلى الله والتورع عن المحارم، ما قاله أبو الحسن يحيـى بن عيسى، المعروف بابن مطروح، وكان ملازماً لملوك

(١) المرجع نفسه ص ٢١٣. والبدار: الإسراع.
(٢) المرجع نفسه ص ٢١١. والفودان، مثنى فود، وهو جانب الرأس مما يلي الأذن.

بني أيوب في مصر والشام. يقول ابن مطروح، مناجياً ربه، تائباً إليه، وهو من أسهل الشعر وأبينه:

يـا أيُّهـا الشّـامـخُ فـي قُـرْبِـهِ
يـا أيُّهـا الـظاهـرُ في حُـجْبِـهِ
بِـالْـبـابِ كـلبٌ وجِـلٌ خـائـفٌ
مِن طـولِ مـا أسلفَ مِـن ذنبِـه
جـاءكَ يستغفر مـا قـد جنـى
مُـلْقىً مِـنَ الـذُّلِّ على جنبِـهِ
وهْـو معَ الخوفِ شديدُ الرّجـا
فـأنـتَ يـا مـولايَ أَوْلـى بـهِ
مُـنَكِّسٌ مِـنْ خَـجَـلٍ رأسَـهُ
بـاسطُ خـدَّيْـهِ عـلى تُـرْبِـه
فـهـلْ لـهُ غـيـرُكَ مِـن راحـمٍ
هـل يـرحـمُ الـكـلبَ سـوى ربِّـه
وهـل لـه فـيـكَ طُـمَـأْنـيـنـةٌ
تـدخـلُ بـالأمـنِ على قـلبِـهِ[1]

* * *

---

(١) ديوان ابن مطروح ص ١٢١ . مطبعة الجوانب. القسطنطينية ١٢٩٨ هـ.

(وكل الذي دون الممات قليل)

ومن أروع ما قيل في الزهد والحكمة، ما قاله بعضهم:

لِكُـلِّ اجتمـاعٍ مِنْ خليلَيْنِ فـرقـةٌ
وكـلُّ الـذي دونَ الممـاتِ قـليـلُ
وإنَّ افْتقـادي واحـداً بـعـدَ واحـدٍ
دلـيـلٌ على أنْ لا يـدوم خـليـلُ(١)

* * *

(والفوز فوز الذي ينجو من النار)

ومن بديع الشعر قول بعضهم في التوبة والزهد:

إنَّ الشَّقِيَّ الّـذي في النّـارِ منـزِلُـهُ
والفـوزُ فـوزُ الـذي يَنْجـو مِنَ النَّـارِ
يـا ربِّ أسـرفْتُ في ذنبي ومعصيتي
وقـد عـلمْتُ يـقينـاً سـوءَ آثـاري
فـاغفـرْ ذنـوبـاً إلٰهي قـد أحـطْتَ بِهـا
ربّ العبـادِ وزَحْـزِحْني عنِ النّـارِ(٢)

---

(١) البيان والتبيين ٣/٤٧٧.

(٢) المحاسن والأضداد ص ١٠٣ ـ ١٠٤.

في ما بعد العصر العباسي

ابن الشّردة (ت ٧٥٠ هـ/ ١٣٤٩ م)

(يا أيها النائم)

ومن أعجب أخبار علي بن إبراهيم المعروف بابن الشردة الواعظ بمسجد دمشق في القرن الثامن الهجري، أنه كان يتخذ كارة، أي صرّة، يحملها تحت إبطه فلا تفارقه ليلاً ولا نهاراً، وكانت تضمّ ما قاله من قصائد وموشحات في الغزل والوعظ والزهد، وإن منها هذه الأبيات الموشحة الزهدية:

يا أيُّها النائمُ كَمْ هذا الرُّقادْ
إنْتَبِهْ كَمْ نَوْمْ
انتبهْ مِن ذا الكرى يا ذا الجمادْ
تلحقْ بِالْقومْ
وتأهّبْ لِغَدٍ يوم المعادْ
يا لَهُ مِنْ يَوْمْ

وَافْعَلِ الْخيرَ لِتحظى بالنّجاحْ
لا تَكُنْ كَسلانْ
واجتهدْ فالمجتهدْ يلقى الفلاحْ
وَيَرى الإحسانْ
قد تقضّى العمرُ دَعْ لَهْوَ الصِّبا
أيُّها الغافلْ
لا تكنْ مِمَّنْ إلى الجهلِ صَبا
تَعِسَ الجاهلْ
كلُّ شيءٍ تهبُ الدّنيا هُبا
ليسَ بِالطّائلْ
كم حريصٍ خلّفَ الدّنيا وراحْ
لابسَ الأكفانْ
وأخو الفقرِ تُوُفّي فَاسْتَراحْ
قلبُه التّعبانْ(١)

* * *

---

(١) تاريخ الآداب العربية ٢/٢٠٥ - ٢٠٦. وهبا: مقصور هباء، وهو الغبار، ويوم المعاد: يوم القيامة. والكرى: النوم.

عمر الأنسي (ت ١٢٩٣ هـ/ ١٨٧٦ م)

(رغبت عن الدنيا)

ومن شعر عمر بن محمد الإنسي، الأديب والشاعر اللبناني، قوله في الزهد:

رغبْتُ عنِ الدُّنْيا وزخرفِ أهلِها
وقلتُ لِنفسي إنّما العيشُ في الأُخْرى
فَدَعْني وزُهْدِيَ في الْحطامِ فإنّني
أرى الزّهدَ في الدّنيا هو الراحةُ الكبرى(١)

* * *

الحسن بن الهبل (ت ١٠٧٩ هـ)

(وإنما الآخرة المنزل)

وللحسن بن علي بن جابر الهبل اليمني، الذي اشتغل بالعلوم والآداب، شعر رائع في وصف الدنيا، يميل فيه إلى الزهد والوعظ والتأمل والمناجاة، يقول الحسن بن الهبل)

أينَ اسْتَقَرَّ السّفرُ الأوّلُ
عمّا قريبٍ بهمْ ننزلُ

(١) المرجع نفسه ٢/٣٢٨. والحطام: يريد به حطام الدنيا وزينتها.

مَرُّوا سراعاً نحوَ دارِ الْبَقا
ونحنُ في آثارِهم نرحلُ
ما هذهِ الدُّنيا لنا منزلاً
وإنّما الآخرةُ المنزلُ
قد حذّرتْنا مِن تصاريفها
لوْ أنّنا نسمعُ أو نعقل
يُطيلُ فيها المرءُ آمالَهُ
والموتُ مِن دونِ الذي يأمل
يحلو له ما مرَّ مِن عيشِها
ودونَه لو عقلَ الحنظلُ
ألْهَتْهُ عن طاعةِ خلّاقه
واللّهُ لا يلهو ولا يغفل
يا صاحِ ما لذّةُ العيشِ بها
والموتُ ما تدري متى ينزل
يدعو ليَ الأحبابُ مِن بيننِا
يُجيبُه الأوّلُ فالأوّل
يا جاهلاً يجهدُ في كسبِها
أغرّكَ المشربُ والمأكل
ويا أخا الحرصِ على جمعِها
مهلاً فَعَنْها في غدٍ تُسأل

لا تـتعـبَنْ فـيهـا ولا   تـأسـفَـنْ
لِـمـا مـضـى فالأمـرُ مـسـتقـبل
مـا قـولُـنـا بـيـنَ يـديْ حـاكـمٍ
يـعـدلُ في الـحـكـمِ ولا يـعـزل
مـا قـولُـنـا لِـلَّهِ فـي مـوقـفٍ
يـخـرسُ فيـه الـمِصْـقَـعُ المِقْـوَل
وإنْ سُئِـلْنـا فـيـه عـن كـلِّ مـا
نـقـولُ فـي الـدنـيـا ومـا نـفـعـل
مـا الـفـوزُ لِـلعـالـمِ فـي عـلـمِـه
وإنّـمـا الـفـوزُ لِـمَـنْ يَـعـمـلُ[1]

* * *

(رويدك من كسب الذنوب)

وله أيضاً:

رَوَيْـدَكَ مِن كسبِ الـذّنـوبِ فـأنتَ لا
تـطيقُ على نـارِ الجحيمِ ولا تَقْـوى

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، للمحبّي ٣١/٢. مكتبة خياط. بيروت والسفر: جماعة المسافرين. وتصاريف الدنيا: حوادثها. والحنظل؛ نبات مرّ والمصقع المقول: الخطيب البارع في القول والخطابة.

أتـرضى بـأنْ تَلْقى المهيمنَ في غـدٍ
وأنتَ بِـلا علمٍ لَـدَيْـكَ ولا تقـوى[1]

* * *

ابن عطيف (ت ١٠٨٩ هـ)

(وما يعنيك لا تهدم مشاده)

ومن الشعر الوعظي الزهدي المسمى بنظم التلقين، ما قاله حسن بن موسى المعروف بابن عطيف الدمشقي. يقول ابن عطيف:

تَـتَـبَّـعْ يـا فـتـىً طُـرُقَ السّعـادةْ
فـتـلكَ إذا وصـلْـتَ هـي الـسّعـادةْ
وجنِّبْ نفسَـكَ الـشُّبُـهـاتِ وَاصْبِـرْ
وفي مـا حـلَّ فـالْـزمهـا الـزّهـادة
وحـبَّ الـلَّهِ آثِـرْهُ وأحـسِـنْ
وقـمْ بِـالـواجـبـاتِ مِـنَ الْـعـبـادة
وعـظِّم أمـرَهُ تـعـظيـمَ عـبـدٍ
تَـيَـقَّـنَ رحـلةً فـأعـدَّ زاده

(١) المصدر نفسه ٢/٣٣. والمهيمن: اسم من أسماء الله تعالى، ويعني القوي المسيطر.

ولا تفرحْ بما أُوتيتَ وَانْدم
على التّفريطِ عن طلبِ السعاده
تجنّبْ ما نهاكَ اللّهُ عنه
وما يَعنيكَ لا تهدمْ مُشاده
تصوَّرْ بعدَ موتِكَ ما تُلاقي
فبديُ الأمرِ تمكنُه الإعادة
وجنِّبْ نفسَكَ الدُّنيا فمنْ لم
يُحاذرْها فقد ملكتْ قيادة
ومهما آذنَتْ بِصلاحِ أمرٍ
تراه صالحاً فَاحْذرْ فساده
وَرَجِّ الخيرَ في الأحوالِ إلاّ
لِذي ذنبٍ فخفْ وَاقْدَحْ زناده
ومهما أمكنتْكَ خصالُ خيرٍ
فآثِرْها تفزْ وحُزِ الإجادة(١)

* * *

محمد الكواكبي (ت ١٠٩٦ هـ)

(حتّام في ليل الهموم)

ومن الشعر الزهدي الداعي إلى الإنابة لله، والتضرع إليه،

(١) خلاصة الأثر ٢/٦٨.

قول محمد بن حسن الكواكبي، الحلبي، وكان مفتياً، وفقيهاً وشاعراً:

حَتَّامَ في لَيْلِ الهمومِ
زنادَ فكرِكَ تَقْتَدِحْ
قلبٌ تحرَّقَ بالأَسَى
ودموعُ عينٍ تنسفحْ
إرفقْ بنفسِكَ واعتصمْ
بِحِمى المهيمنِ تنشرحْ
وَاضْرعْ له إنْ ضاقَ
عنكَ خناقُ حالِكَ تنفسح
ما أمَّ ساحةَ جودهِ
ذو محنةٍ إلاّ مُنِح
أو جاءَه ذو المعضلاتِ
بِمُغْلَقٍ إلاّ فُتِحَ
فدعِ الْهوى وَانْهج على
نهجِ السَّويِّ المتَّضِح
وَاسْمَعْ مقالةَ ناصحٍ
إنْ كنتَ مِمَّنْ ينتصح
ما تمَّ إلاَّ ما يريدُ
فدعْ مرادَكَ وَاطَّرِح

وَاتْــرِكْ وســاوسَــكَ الــتــي
شــغــلَـتْ فــؤادَكَ تــســتــرحْ[1]

* * *

إسماعيل صبري (ت ١٣٤١ هـ/ ١٩٢٣ م)

(يا عالم الأسرار)

ومن الشعـر الـوجـداني الـزهـدي القـائم على الـرجـاء واستعطاف العزّة الإلٰهية، ما قـاله إسمـاعيل صبـري باشـا، الأديب والشـاعر المصـري. يقول إسمـاعيل منـاجيـاً ربّـه، ومتسائلاً ومستعطفاً:

يــا ربِّ أيـنَ تُــرى تُـقـامُ جـهـنّـمُ
لِـــلظّالــمــيـــنَ غــداً ولِــلأشـــرارِ
لم يُبْقِ عفــوُكَ في السّمــواتِ العُلى
والأرضِ شــبــراً خــالــيــاً لِــلنّــار
يــا ربِّ أَهِّـلْني لِـفـضـلِكَ واكفنـــي
شَـــطَطَ الـعقــولِ وفـتـنـةَ الأفـكــار
وَمُـرِ الْـوجـــودَ يشفَّ عنـكَ لِكيْ أرى
غـضبَ الـلّطيفِ ورحـمـةَ الـجـبّــار

(١) خلاصة الأثر، للمحبي ٤٣٨/٣ ـ ٤٣٩.

يـا عـالمَ الأسـرارِ حَسْبي مـحنـةً
علـمـي بـأنّـكَ عـالـمُ الأسـرار
أَخْلِقْ بِـرحمتِـكَ الّتي تسـعُ الـورى
أنْ لا تـضيـقَ بـأعـظمِ الأوزارِ[1]

* * *

رشيد عطاالله (ت ١٣٤١ هـ/ ١٩٢٣ م)

(إنما الأكدار فيها شبه نوّ)

ومن الشعر الذي نظمه في صدر حياته في الزهد وغرور الدنيا، رشيد يوسف عطاالله الأديب والشاعر اللبناني، قوله من أبيات على رويّ الواو الساكنة:

عـاشقَ الـدّنيـا إلى مـا أنتَ غَـوّ
قـلب أيّ ودّهـا ولـم يُـدَوّ
قـد ظننتَ مـاءَهـا يَـرْوي الـظّمـا
أتـرومُ الـرّيَّ والإنـاءُ صَـوّ
كـلُّ خـيـرِ نـازحٌ عـنـهـا ألا
إنّـمـا الأكـدارُ فـيـهـا شبـهُ نَـوّ

(١) تاريخ الآداب العربية ٢/٣٤٦. والأوزار: الذنوب، جمع وزر. ويشف: يرق ويظهر. والشطط: تجاوز الحدّ.

فبِجامِ الرّاحِ تَسْقيكَ الرّدى
وكأيٍّ جدحَتْ سمّاً بِخَوّ
واذْكِرْ في أربعٍ لا تنسَها
إنَّ ذِكراها لِنورِ اللّهِ كَوّ
موتُ جسمٍ عاجلاً أو آجلاً
دينُ نفسٍ ثم دارُ الْخُلْدِ أوْ(١)

* * *

حمزة الملك (القرن العشرون م)

(مولاي قد نامت عيون)

من أرق شعر التأمل في الوجود والزهد بالحياة، ما قاله حمزة الملك طنبل، الشاعر السوداني المعاصر، والرومنتيكي النزعة، من قصيدة يناجي فيها ربّه وأسماها: جوف الليل. يقول حمزة الملك:

مولايَ قد نامتْ عيونْ
وتيقّظتْ أيضاً عيونْ

(١) نفسه ٢/٣٩٨. والغو: مخفف غوٍ، وهو الفصيل المهزول، كناية عن اللهو ودوّى. سار في الدو، وهي الفلاة. والصو: الفارغ، مخفف صوٍ والنو: المطر. وجدحت: خلطت. والخو: العسل. وهووها. عشقوها. وهووًا. سقطوا وماتوا. والكو: النافذة، مخفف كوّة.

نـامـت عيـونُ الـخـائـنـيـنَ
وعـيـنُ نـجـمـكَ لا تـخـونْ
تـرنـو إلـيـنـا وهـي سـاهـيـةٌ
عـنِ الـدّنـيـا الـخـؤونْ
أتـراه أذهـلَهـا جـلالُ
الـلَّهِ أم مَـرُّ الـقـرونْ
أم أنَّ مَـن فـوقَ الـثّـرى
لا يـسـمـعـونَ ولا يـعـونْ
يـا ويـحَ نفسيَ وهي تـرسفُ في سجـونْ
آمنتُ أنَّ الفردَ فوقَ الأرضِ أحقرُ ما يكونْ
مولايَ لو خَيَّرْتَني لاَخْتَرْتُ أنّي لا أكونْ(١)

* * *

التيجاني البشير (القرن العشرون م)

(الوجود الحق ما أوسع في النفس مداه)

وقريب من الشعر الآنف الذكر، ما يقوله معاصره التيجاني يوسف بشير، وهو الذي تأمل الوجود، وأشرف على تجلّيات الله تعالى في الكون والكائنات، يقول من أبيات له:

(١) تاريخ الآداب العربية ٢/٤٢٧.

كلٌّ ما في الكونِ يمشي في حناياهُ الإلٰهْ
هـذهِ النّملةُ في رِقَّتِها رَجْعُ صَداهْ
هـو يحيا في حـواشيها وتحيا في ثـراه
هـي إنْ أسلمتِ الـرُّوحَ تلقَّتْها يـداه
لم تمتْ فيها حيـاةُ اللَّهِ إنْ كنتَ تـراه
الوجودُ الحقُّ مـا أوسعَ في النّفسِ مـداه
والسّكونُ المحْضُ ما أوثقَ بِالرّوحِ عُـراه
كلٌّ ما في الكونِ يمشي في حَناياهُ الإلٰه
هـذه النمـلةُ في رقتِها رجْعُ صـداه
هـو يحيا في حـواشيها وتحيا في ثـراه
وَهْيَ إنْ أسلمتِ الـرّوحَ تلقّتْها يـداه
لم تمتْ فيها حياةُ اللَّهِ إنْ كنتَ تـراهْ[1]

(١) نفسه ٢/٤٢٨.

ثبت المصادر والمراجع

- أخبار الشعراء للصولي، جمع وتحقيق هـوارت دن. بغداد وبيروت.
- الإعجاز والإيجاز للثعالبي، دار صعب. بيروت.
- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، ط بولاق وط دار الكتب.
- بهجة المجالس للقرطبي، تحقيق محمد مرسي الخولي دار الكتاب العربي، بيروت.
- البيان والتبيين للجاحظ، دار صعب، بيروت ١٩٦٨ م.
- تاريخ الآداب العربية لرشيد يـوسف عطا الله، تحقيق علي عطوي، ط ١. دار عز الدين، بيروت ١٩٨٥ م.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم الأصفهاني دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٦٧ م.
- حميد ثور: حياته وشعره. لرضوان النجار، رسالة ماجستير ١٩٧٨ م.
- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحبّي، مكتبة خياط بيروت.

- ديوان ابن الرومي، دار صادر - دار بيروت ١٩٦٥ م.
- ديوان ابن مطروح، مطبعة الجوائب. القسطنطينية ١٢٩٨ هـ.
- ديوان ابن المعتز، مطبعة المحروسة بمصر ١٨٩١ م. نشر دار بيروت ١٩٦١ م.
- ديوان أبي تمام، شرح التبريزي تحقيق محمد عزام دار المعارف بمصر ١٩٦٥ م.
- ديوان أبي العتاهية، دار صادر. دار بيروت ١٩٦٥ م.
- ديوان أبي نواس تحقيق أحمد الغزالي، دار الكتاب العربي. بيروت.
- ديوان الإمام علي بن أبي طالب، المطبعة العلمية، القاهرة، طبعة منقحة ١٣١٩ هـ.
- ديوان بشار بن برد، شرح محمد الطاهر بن عاشور مطبعة لجنة التأليف والترجمة. تونس ١٩٥٧ م.
- ديوان الحماسة لأبي تمام، شرح التبريزي ط ١. دار القلم. بيروت.
- ديوان سقط الزند لأبي العلاء المعري. شرح نزار رضا. دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٦٥ م.
- ديوان الشافعي تحقيق زهدي يكن دار الثقافة بيروت ١٩٦١ م.
- ديوان لبيد بن ربيعة، تحقيق إحسان عباس. ط الكويت ١٩٦٢ م.

- الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب تحقيق محمد خان الفقي. مطبعة السنّة المحمدية القاهرة ١٩٥٢ م.
- رسالة الغفران لأبي العلاء المعري دار صعب بيروت ١٩٦٨ م.
- زهر الآداب وثمر الألباب للحصري أ ـ تحقيق علي البجاوي. ط ١. دار إحياء الكتب العربية ١٩٥٣ م.
ب ـ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. ط ٤. دار الجيل. بيروت ١٩٧٢ م.
- شعر الزهد في القرنين الثاني والثالث للهجرة، لعلي عطوي. ط ١. المكتب الإسلامي. بيروت ١٩٨١ م.
- الشعر والشعراء لابن قتيبة. تحقيق أحمد محمد شاكر.
- العقد الفريد لابن عبد ربه أ ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة ١٩٦٥ م.
ب ـ وشرح خليل شرف الدين. دار ومكتبة الهلال. بيروت.
- عيون الأخبار لابن قتيبة. المؤسسة المصرية للطباعة والنشر.
- الكامل في اللغة والأدب للمبرد مكتبة المعارف. بيروت.
- مجلة معهد المخطوطات العربية المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الكويت ١٩٨٤ ـ ١٩٨٥ م.
- المحاسن والأضداد للجاحظ، دار صعب، بيروت ١٩٦٩ م.
- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، للراغب

الأصبهاني، دار مكتبة الحياة. بيروت ١٩٦١ م.
- المستطرف من كل فن مستظرف للأبشيهي دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٣ م.
- معادن الجواهر ونزهة الخواطر للسيد محسن الأمين بيروت ١٤٠١ هـ.

الفهرس

الباب الثالث

مطابع يوسف بيضون
بيروت - هاتف: ٨٣٧٦٦٧ - ٨٣٧٤٤٩ - ٤٦٠٧٤٣

هذا الكتاب، وهو واحد من بضعة كتب يتناول كل منها غرضاً من أغراض الشعر الغنائي، يرمي إلى اطلاع القاريء على أروع ما جادت به قرائح الشعراء العرب في الزهد، على امتداد أعصر الأدب العربي. ولئن كان من أهم ما يعلق بالذهن من معاني الزهد، الرغبة عن الشيء، وعدم الحرص عليه، والقناعة، والاكتفاء بالحاجة، والرضى بالقليل، فإن ثمة معاني أخرى قد لا تقل أهمية عن الأولى، وهي طبعت شعر الزهد بطابعها المميز فدفعت به قدماً إلى الأمام، وبوأته مكانة عالية في الشعر العربي، عنينا الكفّ عن المحارم، والتوبة النصوح إلى الله، والتضرع إليه، ونهي النفس عن الهوى.. وفي جميع الأحوال فإن الغاية من هذا الكتاب، وكما ألمعنا من قبل، هي اطلاع القارىء على أروع ما قيل في الزهد، مما يهذّب النفس، ويزيدها رقة وشفافية وصفاء، هذا فضلاً عما يرضي الذوق، ويثير الإحساس بروعة الأداء الشعري والجمال التعبيري.